إبداعات

إبداعات سورية

ملف من إعداد: رنا سفكوني

تتابع الآداب في هذا العدد رَصْدَ الإبداعات العربيّة، شعرًا ونثرًا وخواطر وتعبيرات تشكيليّة. وكنّا قد بدأنا هذه السلسلة بإبداعات فلسطينيّة، وسنُكْملها بإبداعات من المغرب الأقصى. معظم هذه النصوص كُتب في قلب الجحيم السوريّة الغارقة في التمرّد والثورة والفوضى، وبعضُها ما يزال عابقًا برمادها وغبارها.

المشاركون (الفبائيًا)

آرام

جولان حاجي

خالد السعيد

خولة دنيا

رنا سفكوني

سوزان إبراهيم

سوزان خواتمي

طارق نوفل

عبود سعيد

علي جازو

ليندا حسين

محمد ديبو

المغيرة الهويدي

هاني نديم

وفائي ليلا

التصوير الضوئي في الملف لبسّام البدر

مصوّر ضوئي، مواليد ١٩٦٩، إجازة في الآداب، قسم المكتبات والمعلومات

قصائد

آرام
شاعر سوريّ من مواليد ١٩٧٩. أصدر عدة دواوين، منها: **مدارت المكان والتحول** (٢٠٠٧)، **هلوسات لموائد العقل** (٢٠٠٩).

- آرام -

أنتم شجرُ هذه البلاد

كم أتمنّى أنّ أعضَّ يدَ القاتل
وأبصقَ في عينَيه!
كم أتمنّى لو أنّ قلبي لا يخترقه الرصاص
لأضمَّكم داخلَ شراييني!
وإنْ كان لا بدَّ من موتي
فكم أتمنّى لو يصير دمي سجّادةً حمراءَ لحناجركم!

...

الأخطبوط الآن يجلسُ في قصره؛
القصرِ الذي شيّدَه من الصراخ والجماجم.
لكنَّ هذه الدماءَ التي صارت
فوق سطحِ البحر
ستأتي إليه لتقتلعَه،
مثل شوكةٍ من وجهِ الوطن.

...

لو أنّي أستطيعُ أن أمسكَ
يدَ القاتل
وأردَّ الرصاصةَ إلى حقدِهْ!

...

عمّا قليل ستنزلُ السماءُ
لتصلّي بين الحشودِ.
وهذه الليلةَ بالذات
سينزلُ اللّه لينامَ
في سريرِ طفلةٍ استُشْهدتْ.

...

عرفتُ الآن متى يصبحُ الموتُ مقدّسًا
ويصير أثمنَ من الحياة
حينما يكونُ من أجل الحرّية.

قبل أن يخرجَ
ليعانقَ حبيبتَهُ الحرّية،
ترك رسالةً صغيرةً يقولُ فيها:
إنْ متُّ ادفنوني في مكانٍ فسيح
ليتسنّى لي أن أرفعَ رأسي
ولو من بينِ الأموات.
...
أحيانًا أتمنّى أنْ أموتَ
وأنا أصرخُ من أجلِ حرّيتي
ولو من رصاصةِ قنّاصٍ
أعمى البصرِ والبصيرة،
فقط لكي أجرّبَ هذا المستوى الأعلى
من الحياة!
...
ليست الأرضُ لكم فحسب،
بل الأرضُ وما عليها وما فوقَها وما تحتها.
أنتم شجرُ هذه البلاد؛
أشجارٌ حُبلى بأشجارٍ حُبلى.
ولدمشقَ وأخواتِها
سمواتٌ لا تنتهي نجومُها،
وملائكةٌ يسهرون
في لياليها المكتوبةِ بالضوء ـ
ضوءِ عينِ الشهيد
المحدّقة
في ضوءِ عين الحرّية!

حين تُسدلُ جهةُ الدم

أفقٌ معتقلٌ!
بأيِّ عينٍ نحدّقُ إلى سقف السماء؟
كلُّ الجهاتِ مقفلةٌ
نموتُ ونحن نتهجّى الرصاصَ الوطنيَّ.
وفي انتظارِ الموتِ قتلاً أو رعبًا أو صمتًا،
نحملقُ في أخبارنا العاجلة.
...
زمنٌ مقصلةٌ!
هاهي دبّاباتُنا تزحفُ إلينا
أو فوقنا
لا فرقَ

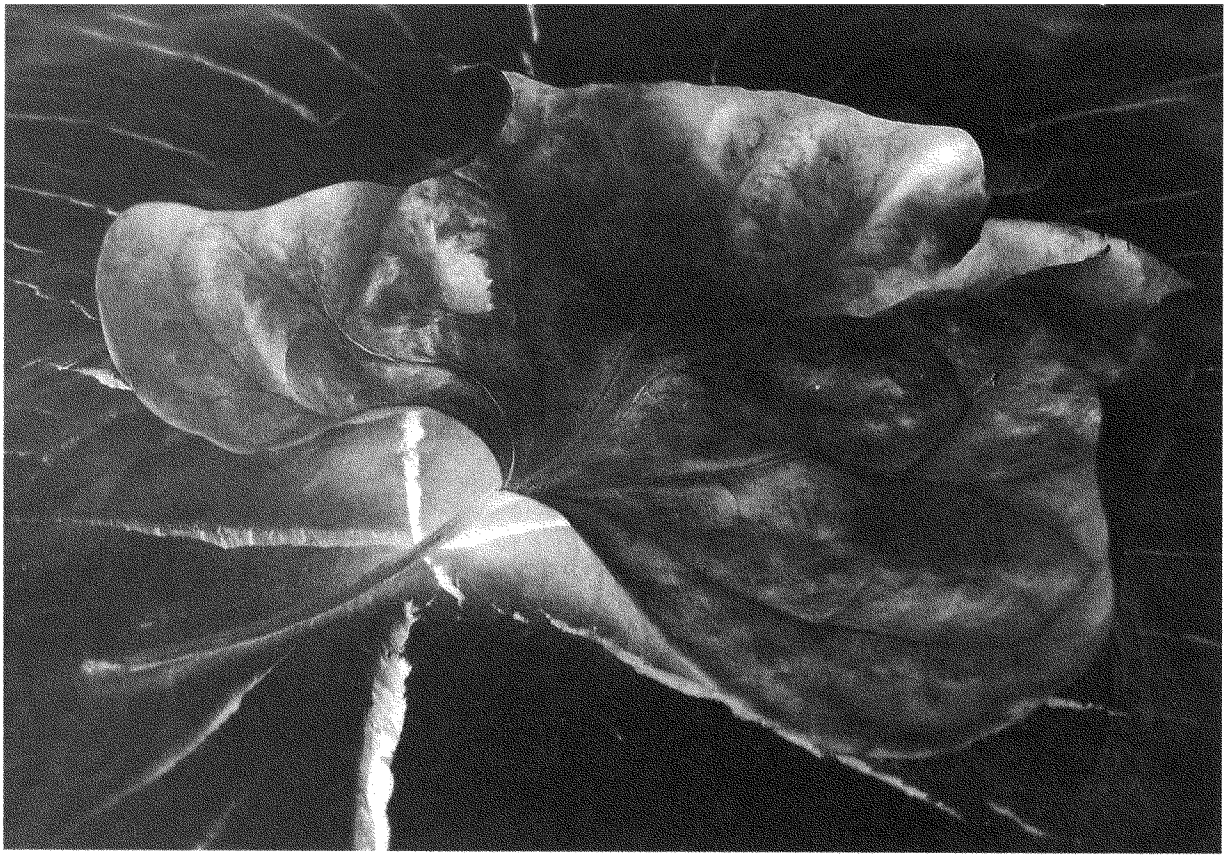

المهمُّ أنّها دبّاباتُنا.
...
كلُّ مدينةٍ جبهةٌ
كلُّ جبهةٍ حربٌ
والطرقاتُ حواجزُ ونقاطُ تفتيش
والعدوُّ خفيفُ الظلِّ
ينتقلُ كالسرطان
في مركباتٍ فضائيّةٍ لا تُرى بالعينِ المجرّدة.
...
دخلَ الوطنُ مرحلةَ الجرعات الكيميائيّة.
أمّا الحناجرُ التي تهتفُ للحرّية،
فتلكَ مسألةٌ ثانويّة.
...
هاهنا
غنّى
فاقتلعوا حنجرتَه ورموْه قربَ النهر.
أغنيتُهُ الآن صارت عابرةً للقارّات!
هاهنا
ثمّةَ فرقٌ بين الموتِ والقتل.
هاهنا
جدلٌ دمويٌّ
بينَ أربعةِ حروفٍ
ثورة... ثروة... ورثة.
هاهنا حربٌ
تَحصدُ حتى الأطفالَ،
لكنّهم الآن صاروا أرقامًا.
هاهنا في أزقّةِ الحقدِ
جثثُ ملائكةٍ وأشلاء
وميليشياتٌ بألوانٍ مختلفةٍ.
هاهنا
الحربُ نفسيّةٌ وإعلاميّةٌ وثقافيّةٌ وميدانيّة.. إلخ
هاهنا
الحريّةُ مؤامرةٌ خارجيّةٌ،
والسيادةُ عبادة،
ولا تنسَ «سقفَ الوطن»
وما أدراكَ ما سقفُ الوطن!
هاهنا
لاجئون
نازحون
مهجّرون
لن نختلفَ على التسميةِ.
هاهنا
معتقلون
مفقودون
مخطوفون
لن نختلفَ على التسمية.
أفقٌ مُعتقلٌ!
على أيِّ شرفةٍ ننتظرُ المساء؟
أصفادٌ في صوتك
أصفادٌ في صمتك
في قدميك في يديك
في لغتك.
أفقٌ مُعتقلٌ هو أُفقي
هو أُفقك.

إذَا قلْ كلمةَ أيّها العابرُ بين الأشلاء

للأيدي التي تتساقطُ الآنَ وهي ترفرفُ
فوقَ أسطحِ الجباهِ المشرَّعةِ للشمسِ، أنتمي.
لهذا الدم، وحدَه الدم
الذي يكذّب كلَّ الوجوهِ وكلَّ الأصابعِ الموارِبة.
لا حبرَ إلا حبرك الأحمر أيتها الأحلامُ
التي تنزفُ والتي تُسفكُ كلَّ لحظة
على قارعةِ الأملِ الجريح.
ولن ألتفتَ
لن أصغيَ إلا إليك.
إذًا، قلْ كلمةً أيّها العابرُ بين الأشلاء.
قلْ كلمةً بمستوى الجسدِ المشطور،
وابصقْ خرَسكَ الأسود.
الآن أشهدُ
مخاضَك العسيرَ أيّتها الحرّية،
وسأفتحُ كلَّ النوافذِ والأبواب
ليسمعَ العالمُ صراخَكِ.

إنّي استنفرتُ جميعَ حروفِ الهجاء

للأرضِ التي تجرحُ كالشوكِ حنجرتي؛
لملحِ خبزِها الذي ترسّبَ في عينيَّ الجاحظتين؛
لكلِّ الأرصفةِ التي فيما كنتُ أعبرُ فوقَها

كانت تدوسُ ظلّي الشاحبَ؛
لكلِّ الجهاتِ الطعناتِ
في الصدرِ وفي الظهرِ وفي الخاصرة؛
ولدمي الذي سال ويسيلُ فوقَ سياجِ البلاغةِ الصدئ؛
للغيمِ الذي شاخَ وفقدَ الذاكرة؛
لكلِّ حرفٍ اغتيلَ في الممرّاتِ الخلفيّة؛
ولديناصورات الموتِ الذين يلتهمون الضوءَ نفسَه؛
لكلِّ الملاحمِ التي تخنقُ رئتيّ الضيّقتين؛
لكلِّ حبّةِ مطرٍ اغتصبتْها رماحُ أباطرةِ الكلام؛
ولكلِّ فجرٍ قابعٍ في جمرِ عزلته؛
للهواءِ الذي دُفنَ حيًّا؛
أقولُ: لن أشعلَ شموعي وأعتصمَ في العراء.
إنّي استنفرتُ جميعَ حروفِ الهجاء!

الآنَ أوّلُ العاصفة

أشرقي يا شمسَ الأشلاء
مباركةً أنتِ فينا.
تدحرجْ أيّها الضوءُ القانئ
واقذفْ حممَكَ في أقبيةِ العيونِ المغلقة.
حناجرُهم يصدحُ فيها الغبار،
وفي حنجرتك أيّها الضوءُ الكريم
سمواتٌ حبلى بأمطارِ الملائكة؛
هي غيومُكَ، بلى هذه هي غيومُكَ
تأتي من ملحِ دموعٍ
ترتجفُ في آفاقها زنزاناتُ اللحظةِ العاتية.
هي أمواجُكَ التي لا تَعِدُ إلا بموجٍ
يفتحُ نوافذَ المستحيل
ويوقدُ نيرانَها المنطفئة.
أوقدي شموعَك يا جهاتِ الروح،
الآن أوّلُ العاصفة!

لأنّ هذا المسرحَ الممتلئَ بالدخانِ قد بدأ بالتشقّق

لن أتردّدَ
سأمرّرُ رئتي تحت سياجِ الأشياءِ المبعثرة
وأصطادُ الفقاعاتِ المنتشرةَ واحدةً واحدة؛
سهمٌ أو سهمان في قلبِ الحقيقةِ المصطنعة؛
وأشعلُ المنصّة
لأنّ هذا المسرحَ الممتلئَ بالدخان
قد بدأ بالتشقّق،
ولأنّ أصابعي لا تجيدُ التصفيقَ،
سأقذفُ وجهي من نافذةٍ لا تُطلُّ إلا على هشيمِ حياتي،
وأبدأُ بالرقصِ التراجيدي الحرّ.
لأنّني لا يمكنني أن أكتفيَ بالصمت،
أو لأنني أُخرستُ بما يكفي.
لن أشعلَ شمعةً مقابلَ كلِّ دمعةٍ سقطتْ،
ولن أكتفيَ بأغنيةٍ تثبتُ براءةَ الدم
ولن ألطمَ وجهَ اللهِ بالكلماتِ الجارحة؛
إذ لا بدَّ لا بدَّ الآنَ من الانتماء
لهذا اللونِ الأحمر
أو الانتحارِ في الظلّ!
أمّا أنتَ، أيّها الصمتُ المدوّي،
فأقولُ لك
إنّها لحظةُ الحسم
أنْ تفتحَ نافذتك للضوءِ
أو أنْ تواصلَ جلسةَ الخفّاش
وتعقدَ أحلافك مع الجهاتِ المسرطنة.
ومع ذلك سأقولُ لك:
الشمسُ اشتعلَتْ وما من أحدٍ
يقدرُ على إخمادِها.

قصيدتان

. هاني نديم

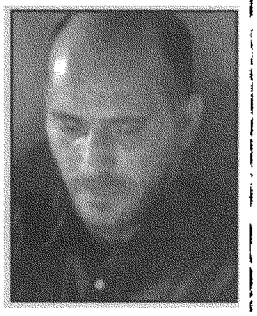

هاني نديم

شاعر سوريّ. صدرتْ له ثلاث مجموعات شعرية: **دم قراطية**، **ونحَات الريح**، **وكرامات الأشقياء**. وله مسرحيتان وثلاث عشرة أغنية (غنّتها مكادي نحّاس، ولينا شمميان، وكريمة صقلي، وأميّمة الخليل،...)

زنابقُ من ماتوا

ضاع دمُ الحزن
بين المنازلِ،
وتوزّع مع تفرّقِ المعزّين
في المساء.
لم يبقَ
سوى رائحة القهوة المرّة
الملذوعة بالنحاسِ العتيق...
والبكاء.
خرج كلُّ الحزانى
إلى أفراحٍ محتملة؛
وحده الوطن
ظلّ يكنس الحسراتِ
في سرادقِ العزاء.

❖❖❖

بشكلٍ متسرّعٍ
خلعَ على نفسه لقبًا وجده في الشارع،
ومضى متوهّمًا أنه يستطيعُ التسكّعَ - الآن -
في المستقبل الأزعر.
وكمبرّرٍ لإشعال لفائفه في الليالي الطوال،
وصراخه في وجه الأصدقاء،
أحبَّ امرأةً طاعنةً في القهر والحرائق
بشكلٍ متسرّعٍ أيضًا.

❖❖❖

بشكلٍ متسرّع،
أكثر من العادة هذه المرة،

قرّرَ أنه يصلحُ للحرب.
لم يكن يعلم أنه أربكَ دافنيه
بتكدّس الفراشات
على نصفِ ابتسامته.

❖❖❖

رأيتُ، فيما رأيتُ،
الوطنَ وهو يشمّرُ عن ساقيه،
ويعبرُ نهرَ الدماء،
باحثًا عن شادر عرس،
وهو يشهقُ بموّالٍ على مقام «نوى.»
أفكّر ـ وقلّما يحدث ـ أن:
أشتغل كشرطيِّ مرورٍ
لتنسيق زحمةِ التوابيت وأسماءِ الميتين.
أفكّرُ أيضًا
أن أصنعَ سفينةً
ولا آخذ «نوح» معي،
بل آخذ... الطوفان.

❖❖❖

والحجُّ هذا العام
للشام
..
طُفْ سبعًا
على حزنِ المنازل
... وأقرِئْ
ميّتيها السلام.
مَن اشتروْا ثيابَ العيد
لكنها وُزّعتْ على أرواحهم
لسكّانِ الخيام.
وتذكّرْ، وأنت تسعى
بين «صفا» و«مروة،»
أنّ مرام
تركتْ لك على البابِ وردتين،
وأنك حبيبُها
...
قالت مرام!

❖❖❖

وفي الحكايا
أنّ الزيزفون يزعل
بزعل أهل الدار،
وأنّ أهالينا العتاق كانوا
يستأذنون عطَره
قبل زيارةِ الجار.
فإمّا
يشدّهم العطرُ من أطراف عباءاتهم
أو يقصيهم..
إلى غيرِ مزار.
وكان الوطنُ ـ حينما كان ـ
أينما «شلفنا» فيه أغنيةٌ
تُنبِتُ
زيزفونةً للمحبّة
وزيزفونةً للخطّار.

يا وجعَ اليوم
مَن طرد الزيزفون
للزوّار
من بابٍ
إلى بابٍ
إلى باب
حتى وصلنا
أقاصي الأرض
في سغبٍ
وأسفار؟

الليلة...
الزعل قصبُ عباءاتنا
ـ يا وطنُ ـ
والقهرُ
زنّار.

نبوءات متأخّرة

كنتُ أحبُّ جارتي..
وجارتي تحبُّ
عبد الحليم.
وكنتُ ـ لفرطِ طيبتي ـ
أحبُّ اتّحادَ الكتّاب العرب
وأؤمن أنّ
العقلَ السليم في الجسم السليم!
ثم فضّت بكارتي

وفقدتُ تلك الوخزة.. من لمسِ السديم.
ما عدت متُّ تلك الميتة
بسيفٍ من نور،
ولا عدتُ أسأل
مَن سرق الفراشة
مَن بين السطور.
..
اليوم أمشي على طرقاتِ الشعر
بلا وضوءٍ
ولا كأسٍ
ولا نديم.

وأبتسمُ مللاً
كلما اضطررتُ للقراءة
مثل سائحٍ
ياباني في القاهرة.

❖❖❖

لديك شبّاكٌ جميلٌ
إنما ليس لديك
أنوار.
ولا حبيبة لك
وبين يديك أزهار.
وها هنالك
يقوم بابٌ
لكنْ
لا يطرقه
زوّار.

❖❖❖

لديَّ غارٌ وخاتمٌ...وصدّيق
ومن السنين
لديّ
أربعون
..
إنما
بدلَ النبوءة
جاءتني امرأةٌ
كلّها عيون،
في يدٍ تجرّ
شعرَها المنذورَ للحرائق..
وفي الأخرى
تجرّ الجنون.

❖❖❖

أُخرجْ إليّ أيها الحزن
فارسًا.. لفارس
وسيفًا لسيف.
أنت بلؤمك المعتوه
والذكريات
والحيف، وأنا
بدعوات أمٍّ
لو فردتها على الجحيم وأهله
لأطعمهم ربُّهم من جوع
وآمنَهم مِنْ خوف!

ومعي - أيّها الجبان -
أصواتُ مَنْ غابوا
وجيشٌ من الشعراء
في الجوف
كلّما قتلتَ «ماغوطًا»
فزّ إليك «سيّابٌ.»

لستُ وحدي
يا حزنُ..
عيناها معي
وليمونةُ الدار..
والبابُ.

❖❖❖

أخيراً..سئمتُ!
الحياة التي
حاك الآخرون «كبكوبَها» كنزةً وشالات
وَصَلتْ إلى يدي
ثعابين!
...
سئمتُ من كلِّ شيء..
من أنني..
أنني!
قرفتُ رائحةَ المطارات،
والنداءَ الأخير،
ووضاعةَ غرف التدخين.

قرفتُ أيضًا من قرفي،
من أسرّةِ الفنادق المفتوحةِ الرجلين لكلِّ الرجال
من لوحاتها الساذجة كإنجليزيّةٍ بنغلاديشيّ،
ومن هذا الحزنِ الأمين.
تعبتُ من النساءِ المتشابهات
كلافتات المدن،
من انتحارِ الصباح ـ
كلّ صباحٍ ـ بربطةِ عنقه.
....
ومن السنين...
سئمتُ وقرفتُ وتعبت.
لهذا
أرسلُ ـ يوميًّا ـ مفوّضًا عنّي
ليواجهَ كلَّ هذه المهازل.

❖❖❖

يا لَحُزن الشعراء..
يكتبون قصائدَهم
على ضوءِ امرأةٍ بعيدةٍ..بعيدة
لا تجيء؛
وإن أتت..
داست الأزهارَ في الطريق
وخرّبتْ أعشاشَ العصافير
ومزّقتِ القصيدة.

يا لَحُزنِ الشعراء
يرسمون وجهَ الأوطان ضاحكةً
ويبكون وهم يشترون الجريدة.
يحلمون بالأسماك
ليلَ نهار...
رغم تشقُّق جلدِ المحيطات

يا لَحُزن الشعراء
لا غار لهم
ولا عاصم من ماء.
لكنهم كلّما
بذروا خطاياهم في الريح
نبتتْ أنبياء.

خولة دنيا

كاتبة وصحفية من سوريا. مواليد ١٩٦٨.

قصائد

. خولة دنيا .

الأمن الجويّ

في الأمنِ الجويّ(*)
لا طائراتٌ تختصرُ الزمن
ولا حصانٌ طائر.
بطاقاتُ عبورٍ
إلى الموتِ البطيء
وهلوساتُ حياةٍ
كانت لبشرٍ منذ قليل.
...
في الأمنِ الجويّ
الكثيرُ من الحالمين
القليلُ من الحلم؛
كثيرٌ من الرجال
قليلٌ من الأمن.
...
في الأمنِ الجويّ
تهبط السماءُ كثيرًا
تكتسي لونَ السواد،
يُعاد تلوينُها
كما يليقُ بسماءٍ
تتلبّس زنازينَ العفن.
...
في الأمنِ الجويّ
سيحملكَ بساطُ الريح عاليًا
لترى مدينتكَ حانيةً عليكَ؛
فاحذرْ حلمَكَ السعيد
فالحلمُ كفرٌ للسجّان
والحلمُ عباءةُ السجين.
ارم حلمكَ بعيدًا!
طيِّرْ ما شئتَ من ترانيمِ الصبح!
صلِّ غائبًا لها ولك
واشهدْ:
أنْ لا قديسَ إلاّكَ
ولا أرضَ إلاّها للموت والأمل!
هي الوطنُ أينما حلَّ حللنا بهِ
في سماءِ الحلمِ
أو في ظلمةِ السجن.

تخفٌ

كمن يمشي على نصل سكّينٍ،
يعودُ الحرُّ ليلاً،
يودّعُ غرفتَهُ الخفيّة،
عيونَ متلصّصي الليل،
يستظلُّ بإغفاءةِ مُخْبرٍ
ليقعَ بين يدي حبيبته.
ما غاب عن الحبِّ يومًا؛
الحبُّ هو مَن غابَ عنه
شهرين.
يلثمُ جبينَ الشفق
يجعّد زوّادتهُ في قلبهِ
ويمضي
متلبّسًا حلمَ الحريّة.

(*) ملاحظة الآداب: زوج السيّدة خولة دنيا معتقلٌ لدى المخابرات الجويّة في سوريا.

نصفُ حكاية

كيف لأنصافِ أابعي تمشيطُ شعركَ
أو إزاحةُ التعبِ عن عينيكَ؟
كيف لعينٍ واحدةٍ أن تبصركَ،
وأذنٍ واحدةٍ أن تسمعَ أنفاسك؟
كيف لنصفِ نهدٍ أن يُرضعَ نصفَ شهوتكَ
أو لقدمٍ ممتدّةٍ أن تَلُفَّ نصفكَ؟
كيف؟
نصفُ كيبورد لا يكفي لكاملِ حروفنا
فلنشطرْها إلى نصفين:
نصفٍ لكَ
ونصفٍ لي،
نصفٍ لليوم
ونصفٍ للغد،
نصفٍ للحبِّ
ونصفٍ للشكاية.
نصفُ حُبٍّ لا يكفي لإنصافنا
ونصفُ مسافةٍ لا تلتقينا.
نصفُ أفقٍ يوزّعنا
بين نصفيه:
أنا في المشرقِ،
وأنت في الغربِ مني.

عتمة

ثلاثُ ساعاتٍ تكفي
لأخرجَ من المحسوس
وأنامَ عميقًا.
ثلاثُ ساعاتٍ لأنسى
أنَّ من يقتلُ هنا
هو قلبي،
وأنّ الياسمينَ مبكّرًا
أزهرَ في أزقّتي.
ثلاثُ ساعاتٍ تكفي
لأصلَ لبابا عمرو
من هنا
ولأغسلَ من الدم كفني.
ثلاثُ ساعاتٍ للقَتل
لا تكفي
حين الرصاصُ يتهاوى
ثلجًا وبقايا ندفِ قطنٍ
على جرحي.
ثلاثُ ساعاتٍ للعتمة
ولا نورَ
ينيرُ حبري.
هي الوحشةُ تُقَسِّم اليومَ
على مهلٍ:
ثلاثُ ساعاتٍ للحلم
ثلاثُ ساعاتٍ للفعلِ
فتجزّئ بينهما ما أردتَ.
اليومُ يكفي
ويكفي.

بابا عمرو

هنا مَن كان مثلي!
يحبُّ جلسةَ الأرض،
يتجاهلُ الموتَ بأرجيلة،
ويباغتُه الموتُ بقذيفة.
هنا مَن كان مثلنا
عائلةٌ ربّما
سيدةٌ ربّما
تداعبُ وقتَ الانتظار
بكأسِ شاي،
تقولُ لسيّدات الصبح:
أهلاً وسهلاً،
تعالوا نفتحِ النوافذَ أكثر،
نكسرْ حواجزَ الضوء،
نغنِّ للهواء،
ونقضِ على الوقتِ بترنيمة.
هنا تركت لك معطفًا
علّقتُه على عجل.
لِمَ تترك المكانَ بلا رائحة؟
لِمَ تتركُني ساهمة؟
خذني معك إلى سفرِك القادم
نجدّدْ حبَّنا ونُعِدْه.

ببساطةٍ نموت

ببساطةٍ نموتُ
تحتَ جسرٍ بانتظار العبور.
تتهاوى أحمالُ أكتافنا،
نغادرُ بقايا احتمالنا
والقلوب.
ببساطةٍ..
يركضُ طفلٌ
يبعثرُ خبزًا،
تترنّحُ امرأةٌ تحمل جرحًا.
خبرٌ عاجل
هكذا انتهينا
ونحن نموت.
ببساطةٍ..
قنّاصٌ يرشقُ أقدامًا وجِلة،
عينٌ تسقطُ على مئذنة،
قلبُ القدّيسين يبكي
حين تناجيه أرملة،
فتهوي بيوتٌ
وتعوي قنبلة.
ونحن ..
بمنتهى البساطة
نموتُ.

ليلٌ ومستحيل وما تبقّى من شجاعة

الليلُ يصعدُ إلى السطح
يصبُّ ما تبقّى من زاده
ويقولُ للقمر:
كأسك!
المستحيلُ يلتفُّ على عنقي
يخنقُ ما تبقّى من أنفاسي
ويستحيي أن يقولَ:
أحبّك!
الشجاعةُ لا تختار
تزفُّ شهيدَها الأخير
تستقبلُ بطلَها الجديد
وتتجاوزُ الليلَ والمستحيل.
ما تبقّى من البلد
يوضّبُ حقيبتَه الصغيرة
يتطلّع إلى القمر
يحصي أنفاسي
ويسافر.

آباء طوال

. وفائي ليلا .

أطالبُ بمدينتي كاملةً.
بكلّ ما فيها:
بشحّاذيها ولصوصِها وعاهراتِها
بأوساخِها
بأعلامِها الممزّقة
بكهولِها المرميّين على جوانبِ الطرقات
بأبوابِها التي لا تتّسعُ لقطارِ الفقر أنْ يعْبر.
...
أطالبُ بكلّ شيءٍ:
باعتِها الأوغاد
سائقيها القوّادين
صبيتِها الأشرار
قاسيون الذي يخفي تحتَ جنحِ عتمته
سيّاراتِ متعةٍ مختطفة.
...
أطالبُ بالنهر المتبقّي
مشحات عبورِه الواهن
بأوراقِ الشجر المتساقطِ الآن
بأشجارِ الكينا الهائلةِ الطول؛
بيتنا المثقوب بجرّافة
بقبورنا.. وحارتِنا التي تمَّ دملُها كجرحٍ غائر
بعمليّةٍ جراحيّةٍ فاشلة.
...
أطالبُ بكلّ شيءٍ لأستعيدَه إلى قلبي الميت.
أطالبُ بكلّ برامج تلفزيوننا الرثّ
بهزائمِنا الكرويّةِ على مدارِ خمسين عامًا

وفائي ليلا

مواليد دمشق، ١٩٦٤، مقيم في البحرين. كليّة الآداب، قسم الفلسفة. صدرتْ له أربع مجموعات شعريّة في بيروت ودمشق: **متوقفًا عن الضحك، مغسولاً بمطرٍ خفيف، ما ليس أنا، يعطي ظهره للمرآة.**

بصوت «فاروق بوظو» وهو يعزّينا بخسارةٍ أقل.
أطالبُ بكلِّ الفقرِ وكلِّ القهرِ..
بمسلسلاتنا التي خدعنا فيها ممثّلون ثقاة
فضحوا كلَّ الغشِّ الذي يحدث
وناموا في سريرِ الملك.
أطالبُ بالراقصاتِ في مقهى الكروان
و«الطاحونةِ الحمراء» قبل أن تسطو عليها «نيكول كدمان» في
فيلمها الشهير ذاك؛
شرائط الكاسيت الهورنو التي كنّا نسمعُها «لعصام» وحبيبته
التي ترعى انتصاباتنا الأولى بحنانٍ أشقر؛
بأغاني «مها عبد الوهّاب» الفاحشة.. بسرّتها التي ترشدُنا
من خلالِها إلى الأسفل
أطالبُ بعمرنا الذي هُدِرَ..
بكلِّ ضرباتِ المساطرِ والكفوفِ والتبوّل اللاإراديّ في
الصفوفِ المتعاقبة؛
أطالبُ بالمدراءِ القساة،
والطلابِ الذين يضيّعون علينا فرصةَ الفهمِ..
بمهرجانِ صراخٍ مجنون.
أطالبُ بالغثيان.. و«مرحبا يا صباح»
السابعةِ والربع، وصوت فيروز الملدوغ بأغنيةٍ بائتة
وزعترٍ من احتشاءٍ صعب.
...
أطالبُ بجدٍّ نذل
وبردِ بيتٍ هائل
ويد أبٍ لطالما تهدّدتنا بالطرد.
أطالبُ بجدّةٍ تبكي كلَّ الوقت
موتَها الذي تأخّر كثيرًا
وحفرَ في قلوبنا خطَّ انهيارٍ لا يرقأ.
أطالبُ بوسائدَ ليست مناسبةً لنا
وأغطيةٍ كيفما اتّفق.
أطالبُ بـ«الطرّاحات» تفوحُ منها رائحةُ البول
و تغطّى بمشمّعاتٍ قاسيةِ الحواف وباردة
تأكلُ بمخالبها خواصرَنا بفكٍّ الحقد.
أطالب بسرقاتنا الصغيرةِ من جيبِ آباءٍ طوال
والسطو على قدورِ اللحم
في مطبخِ العزلة.
أطالبُ بالعتمةِ التي ميّزتْ بيتَنا
بخطّين داكنين تحت عينيّ أمّي
شعرها المبثوث كصرخةٍ رغمَ خرسِها الممعن؛
أطالبُ بصمتِها الأبديّ، صمتِها المُتّهم،
ودخانِ الأبِ الدائخ في الحديقة
بكرسيّه العرش
برائحةِ العرقِ، باليانسون المقطّر،
وصخبِ ضحكات أصدقائه السكارى.
أطالبُ بأمٍّ كلثوم التي تثملُ آخرَ الليل في الغرفةِ الجوانيّة
مع أبٍ يترنّحُ متمايلاً
بعنقٍ مائلةٍ وكفٍّ تراقصُ الهواء
نكتشفُ حنانَه متأخّرًا مع امرأةٍ تديرُ أسطواناتها كلَّ مساءٍ
له
دون اكتراثٍ بأحدٍ.
...
أطالبُ بكلِّ شيءٍ فُقِدَ فيّ أو ما يزال يرنُّ في أعماقي
بخيباتي وفشلي في الصفوفِ كلها
والشهادات التي لم أُحصّل
والنتائج التي لم تكن باهرة؛
بشاعرٍ فاشلٍ ظنَّ نفسَه أطولَ الجميع.
أطالبُ بكلِّ الحمقِ والمحدوديّةِ والضآلةِ والقصر
كي أرزمها دفعةً واحدة،
وبعودِ ثقابٍ واحد
أوقدُ فيها النسيان
كي أعبرَ.

سوزان إبراهيم
صحافية وشاعرة سورية.

يحدث في مدن القصيدة

. سوزان إبراهيم .

(لأرواح الشهداء الأطفال السوريين:
من قضى منهم... ومن ينتظر)

مثلَ قطّةٍ بيدٍ مغمدةِ المخالب،
تعابثُ ريما خشبَ بابِ القصيدة.
كانت أطولَ من زنبقةٍ بلديّةٍ..
وأقصرَ من مقبضِ البابِ بضحكتين.
ريما ابنةُ أحزانِ شاعرٍ
مرغمًا تخلّى عنها لدار اللغة لرعاية الأيتام.

❖❖❖

مبلّلةً بالتردد تحدّقُ بي
أتريدين اللعب؟
هززتُ ضفيرتين ذهبيتين.. وأهدابًا كغابة ساقانا.
في ذاكَ الضحى
لا أطفال.... لا أراجيح في الحديقة.
وقبل هطلٍ تبرعم في عينيها
غطّيتُ ريما بشال انتظار.

❖❖❖

مندهشينَ من رسمٍ كومبيوتريٍّ لأمتعتي،
اتهمني عناصرُ التفتيشِ بتهريب ممنوعاتٍ من الصرف!
في حقيبة يدي الصغيرةِ عثروا على
دمًى بألبسةٍ حريريّةٍ،
وأخرى محشوّةٍ بأصابع السكّر وغزْلِ البنات.
من حقيبة سفري الكبيرةِ،
تتدحرج أسوارةُ «جورجي» المزركشةُ بألفِ حكاية يتمٍ.
أرانبُ «أليس» البيضاءُ
بين أقدام دهشتهم تتراكض.. وتَقْضم جَزَرَ التقارير السوداء!

«جولي كور،» المشاغبُ في فرقة ريمي،
يحطّ على رأسِ كبيرهم.. فيهتاج.
بخطًى وئيدةٍ وعيونٍ برّاقة، تتغو عنزةُ «هايدي»
حين أمسكَ بيتر بعنقِها دفنتْ رأسَها في صدره
ثم...
أشرقتْ ضحكةُ ريما المحفوظةُ جيّدًا في قطعة شوكولا.

❖❖❖

الحدودُ مغلقةٌ.. والخندقُ المكهربُ يسوّرُها
فكيف أدخلتِ كلَّ هذا إلى البلد؟!
- يا أستاذ...
لسعتْني نظرةٌ حادّةٌ.
- عفوًا يا سيّد...
جلدتْني النظرةُ عينُها.
- يا سيييد..ددد....دي
(ومطرقةٌ تدقُّ مساميرَ الخوفِ في لوح قلبي)
صوتٌ يقولُ:
- هويّتُك يا سيّدة!!
(ربّاه... هل أعطيه الحمراءَ أم الخضراء؟!)

❖❖❖

في باحة التفتيش
جورجي، أليس، ريمي، هايدي، بيتر، وريما...
تحوك أيديهم خاتمَ ضوء
يدورون... يغنّون:
«هالصيصان شو حلوين... عم يدوروا حول أمهن مبسوطين
.....»
ضحكوا..
ضحكوا..
ضحكوا....
حتى اهتزّ قلبُ الله.
يجلس الجميعُ إلا ريما
تدورُ ويدُها على رأسِ كلٍّ منهم:
- رن.. رن يا جرس!
يرددون: «حوّل واركبْ ع الفرس»
- طاق طاق طاقيّة!
يرددون: «طاقيتين بعلّية!»
تضحك ريما.. تضحك.. وتنسى...
أنّ كوبرا سكّينٍ لدغتْها صباح أمس!

❖❖❖

دخلتُ المدينة.
- أشياؤك هذه ممنوعة يا سيّدة.
لكن...
كرمى لهويّتك الحمراء سندعُك هذه المرة فقط!
صخبُ الأطفال يشرقطُ مثلَ فرحٍ غزيرٍ عابر
لم نجدْ بائعَ الفولِ النابت
والعربةَ الموشّاةَ بمرطبانات الكمّون والملح والسمّاق... وبكومة من الليمون!
لم نجدْ:
كراسيَ القشِّ الصغيرةَ المربّعةَ،
بائعَ الذرةِ الصفراءِ الساخنة،
بائعَ الكستناءِ المنفتح بياضُها الأسمرُ على غلافٍ بنيٍّ مشوي،
بائعَ الترمس.
ولم يمرّ بائعٌ باقاتِ النرجس!

❖❖❖

هل نشتري البوظة؟
صرخَ الأطفالُ بأعلى غبطتهم: شوكو..لامو.....
حاجزٌ آخرُ يطلبُ هويّتي!
يتفقّدُنا بعينٍ حذرة:
- هذه الأشياءُ ممنوعةٌ يا سيّدة،
لكنْ...
كرمى لهويّتك الخضراء سنغضُّ الطرفَ هذه المرةَ فقط.

❖❖❖

مشى أطفالي كفرقة كشّافةٍ تغنّي:
«نقطعُ الدروب... نُفرحُ القلوب
ولنا في كل شارعٍ صديقْ
نقطع المدى... لا نؤذي أحدا
نزرع الأزهار في طولِ الطريق.»

نصوص في وضح الرصاص

. خالد السعيد .

(١)

متى تقعُ الحربُ يا أبي؟
. عندما تلدُ البندقيّة أُولى رصاصاتِها المستحيلة.
. ومتى تنتهي الحربُ يا أبي؟
. الحربُ لا تنتهي يا ولدي.
لكنّ، قد يَعْطف عليكَ العالَمُ المتمدّن
ويهديك هدنةً قد تقيك شرَّ قذيفةٍ
تختبر الهويّة.
. وما هي الهويّةُ يا أبي؟
. قلبُ أمك المثقوب
وجدّتك المريضة.
. هل نحن في حربٍ يا أبي؟
. لا يا ولدي.. هكذا يقولون في الجرائد
لكنّهم يتوقّعون حربًا إذا ما الضحيّةُ
رَفعتْ في وجه قاتلها البندقيّةَ.
. وكيف ستعيشُ الضحيّةُ بلا حربٍ يا أبي؟
. ستعيش يا ولدي في كتبهم، وسيقولون عنها:
«مهذّبةً هذه الضحيّة،
عانقتْ رصاصتَها بكلِّ سلامٍ ونامت.»
وكانت الحربُ قد وقعت مثلَ حبٍّ من طرفٍ واحد،
لكنّ الرواة ما زالوا يُوهمون الحطبَ الرطبَ أنه قابلٌ للاشتعال.

(٢)

في آخر الليل،
يرتاح الخصمُ ويجلس قربَ خصمه،
ناسيِيْن دقّ الحديد والطبول،
ويتحدّثان مثلَ زوجين مختلفين.
لكنّ، لحكمةٍ ما،

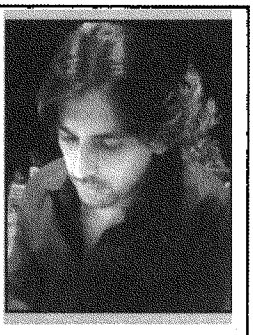

خالد السعيد
ولد عام ١٩٨٦. من مدينة درعا. تخرّج من قسم الإعلام بجامعة دمشق. صدر له: **بين بين** (نصّ).

وُجدتْ غرفةُ نومٍ واحدة
وسريرٌ واحد
يجمع الخصمين ليفكّرا
بالفرق المجازيِّ بين خيل المتنبّي
وباقي الخيول.
ولا يعترفان، واحدُهما للآخر،
بحسن الجوار.
ولا يدافعان عن لغةٍ أصابت
شاعرًا بمسٍّ في الرقص.
كلاهما يَشْتم الطريقَ
حين يفيق على اختلاف المسافة
يقصر حسب مزاجِهما أو يطول
ولا يتشاجران؛ مثل الصبيّة
بعد لعبة الغمّيضة:
أنا ربحتُ
لا بل أنا ربحت.
كلاهما خاسر؛
فهما لم ينتبها إلى الشمسِ ساعةَ الغروب،
ولا إلى رائحةِ الياسمين حين تفوحُ أوّل الليل.
كلاهما خاسر في كلِّ شيء:
في الحرب، والحبِّ،
وفي القصيدةِ التي أهملتْ وصفَ الانتصار
أو الهزيمة
وأطالت في شرحِ طقوس السلام
في آخر الليلِ
وجواز التحيّة.

(٣)

الحرب
ولا وصفَ لها أكثر!
يسألني صبيٌّ صغيرٌ من العائلة:
ـ ما الحربُ؟
فأُطيل التأمّلَ بلعبته
وأسألهُ:
ـ ما الحبُّ؟
يشدّ على لعبته
ويحمرّ خدُّه.
ويسألني:
ـ ما الحربُ؟

لم أجدْ شاعرًا واحدًا ليسعفني بالإجابة
ولا قائدًا باقيًا
بعد أن أعطى أمرًا لجنديٍّ على دبّابة.
وأشرتُ للتاريخ بطرفِ أصابعي،
فانتبه قنّاصٌ على سطحٍ مجاور.
أرخيتها لأناورَ القنّاص،
وأؤجّلَ اجتهادَ الرصاصة،
وأحرمَها من فتوى الإجابة.
الحرب، ولا وصف لها أكثر،
ارتخاءٌ في المفاصل
وخللٌ يُصيب الجهازَ التنفسيّ.
لكنها ـ إنْ أمعنتَ النظر ـ
وصفٌ على لسان الله
لا تُبقي ولا تذر.

(٤)

لم أفهم الصورة
هناك يدٌ تحت الجسدِ الناعمِ تحضنه
وفي اليد خاتمٌ.
من حسن حظِّ الضحيّة
أنّ الذهبَ معدنٌ يلمع
لينتبهَ المنقذون أنّ الترابَ
ابتلع اليدَ:
اليدَ التي حضنتْ يومَها
خصرَ الجسدِ الناعم.
...
لم أفهم الصورة!
سألت:
مَن يُحبُّ مَن،
ومِنْ مَن؟
سيجتمع حماةُ الحقائق،
والمدافعون عن حقوق الإنسان،
وأصحابُ المهارة في تحليلِ الصورة،
ويختلفون في جنسِ الجسد الناعم/
هل هو ذكرٌ أم أنثى؟
وربما ينسوْن قصّةَ اليد والخاتم!

سأثبت أنني حيٌّ الآن،
وأنفي بالشهيق شكَّ ديكارت،

وأكتبُ جملةً على حائط الفيسبوك،
هذه الجملة:
«لم أفهم الصورة
هناك جسدٌ ناعمٌ
ويدٌ تحضنه
وفي اليد خاتمٌ.»

(٥)

شيءٌ ما يبدو كما الخراب:
يدٌ في جيبي،
والأخرى أُحرّكها لأبعدَ بها
جناحَ الغراب.
. هل تذكر «آريز» يا ولدي؟
لا يا أبي
لم أكنْ حاضرًا وقتها،
لكنّي سمعتُ عن الشمس
لما أطلّت على أفروديت
وهي تُحنّي أصابعَها بالدم.
ونيرون يا ولدي؟
أتذكّرُ خشبةَ السيرك
وهوسَ القاتلِ بالمسرح،
لكني لم أحفظْ ما كان يتمتمه
عن هوميروس والحصانِ الذي يسرح.
معنا على السكايب خالد أبو صلاح
خالد، ما الجديد في كرم الزيتون؟
شيءٌ ما يبدو كما الخراب
هذه ليست غزّة
ولا سراييفو
(عذرًا لرداءة الصوت من المصدر).
لم يفهمه أحدٌ
وكان الكلامُ سرابًا.
...
يرتاح الحيُّ بصمتٍ
وأدور أنا لأطمئنَّ على الموتى.
لكنْ، دون أن أدقَّ البابَ،
تموت الأبوابُ أيضًا
بعد حفلات القصف.
والجدرانُ تحني ظهرَها
وتعود للخلق الأوّلِ:
ترابًا
ترابًا.
...
أحنُّ إلى الضجيج،
إلى أولادِ حارتنا
حين يطوفون في الحيِّ مثل الحجيج،
إلى جارتنا وبائعِ المازوت.
أحنُّ إلى عبث الذبابِ،
إلى الطريق نحو الذهابِ.
...
شيءٌ ما يبدو كما الخراب:
يدٌ ترفعُ جثةً،
ويدٌ تنادي على السماء:
هلاّ تعودان قليلاً فقط
قليلاً فقط
من الغياب؟

الرماة الرياضيون

. جولان حاجي .

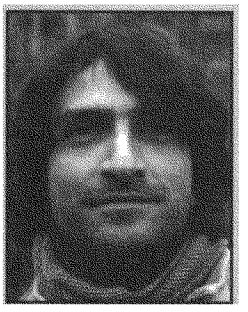

جولان حاجي
شاعر ومترجم سوريّ. من مواليد عامودا عام ١٩٧٧. نال جائزة محمد الماغوط الأولى عن ديوانه الأول، **نادى في الظلمات**، والجائزة الأولى لاحتفاليّة دمشق عاصمة الثقافة العربيّة عن ديوانه الثاني، **ثمّة من يراك وحشًا**.

رُكّابُ السرافيس اشتروا موتَهم في الصباح بعشر ليرات.
الخزانةُ دفَنتِ النائمين،
وألواحُ الزجاجِ شقَّتِ الستائر
ودَقَّتِ الأعناقَ كالمقاصل
لتبقى بركةُ دم على الإسفلت
يحومُ فوقها لَغطٌ كثير.
ثم جاؤوا.
ألغوْا مواعيدَهم،
ونكشوا أسنانَهم ليرموا بقايا قلوبِنا إلى النمل،
وصاحوا:
«ما منْ متَّهمين. كلُّهم محكومون.»
أغلقوا الصيدليّاتِ والجسور.
سَدّوا منافذَ المدن ومداخلَ الساحات،
ثم رفعوا بطرفِ الحربةِ عنوانًا خاطئًا:
الهاوية أو الجدار.
تركوا لنا الأرقَ وقوائمَ الأسماء،
غبارًا لحَسَهُ الجوْعى عن أنوفِ الأحذية،
دروعًا من حاوياتِ القمامة،
نمورًا على الأغطيةِ في ليلِ الكروم،
أباريقَ الماء العكر،
فردةَ حذاءٍ على الطريق،
البردَ والشموع،
بصقاتِ التجّار،
طلقاتٍ في بابِ الثلاّجةِ والشاشةِ وبطنِ الخزّان،
ثكنةً في متحف،
كدماتِ الرسّامين،
عباءةَ الراهب، ظُفرًا مُقتلَعًا،
رصاصةً في العينِ أو القلب أو دفء الخصيتين؛
وأخذوا الممثِّلين الهُواة، الطبيب، عابِري السبيل،
العازفين، سُعاةَ الخبز، باعةَ اليانصيب،
حُرّاسَ المرمى.
هشّموا السماءَ وبدمِها لوّنوا الدبّابات
لينصبوا البيانو تابوتَ الموسيقى.
قتلوا مجنونَ الحيّ وبائعَ البقدونس.
أرْدوا النافذةَ والأختَ التي أطلَّتْ
ولم تنجُ بقرةُ الجيران،
لم ينجُ المصباح.
بصقوا في النبعِ وفقؤوا العدسة ـ
عينَ الحياةِ الدامعةَ الدامية
عينَ الأمل.
مزَّقوا بالسكاكينِ الأريكةَ المستعمَلة
والحقيبةَ وبطانيّةً ملفوفةً بحبل.
صلبوا النجّارَ، وخنقوا الحسّونَ، ونحروا المغنّي.
أحرقوا السنابلَ والكتبَ والدرّاجات.
ثم استلقوا على حشيشِ الملعب ولم يغفوا.
هذه ليست صُوَرًا؛
هؤلاء حرَسُ الصُّوَر.

شذرات

. علي جازو .

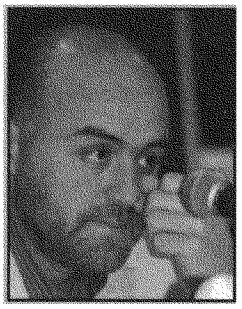

علي جازو
شاعر وصحافيّ سوريّ. من مواليد عامودا، ١٩٧٥. له ديوانان: **الغروب الكبير**، و**ممرّات الشمس**.

ثراءُ اللّعب في اللعب نفسه.
أمـا مَـنْ يرجو مـن اللعبِ نفعًا أو نتيجةً فقـد طوّر في نفسه أخـلاقَ النّهب، التي لم نعهـدْ منها غيرَ التواري عندَ حلـولِ الخطر الفنيّ، ومعها يغدو طلـبُ اللعب بابَ كلِّ خسارةٍ وقبحٍ.

❖❖❖

أريد أن أفهمَ الموتَ.
أريـد ذلك بنهمٍ وإخلاص كاملَيْن، علّ ذلك يخفّفُ عني حملَ مـا أعيشه تحت ظلّ المـوت، الظلّ الموحش الثقيـل اللامرئيّ. لئلا يغدو جسدُ المرء الكهفَ الذي يهرب داخله منه.
كلّمـا رغبتُ تخلّصًا ازددتُ تعثّرًا، كما لو أنّ الظـلامَ الكهفيَّ مصوغٌ بالطريقة التي يصوغ منها الموتُ ظلامَ الجسد.

❖❖❖

ننزفُ من الجرح ذاته مرّتين: مرّةً إذ نعانيه، وأخرى إذ نتذكّره.
فـي المرّة الثالثة والأخيرة، ينبغي بصقٌ قويٌّ علـى الجراح كلِّها، لا لكي نشفى منها وحسـب، وإنّمـا لنؤكّـدَ أسفًا ـ لأنفسنا علـى الأقلّ ـ أنها جراحٌ لـم تستحقّ يومًا غيرَ البصاق.

❖❖❖

أحيانًا، بل غالبًا، على الشاعر أن يكبحَ شهوةَ الكتابة في نفسه.
أن تكبحَ ما هو رائعٌ جزءٌ نبيلٌ من مهامّ الشعر، إذا ما كان لدى الشاعر إحساسٌ، ولو ضئيلاً، بمسؤوليّته الجماليّة والأخلاقيّة إزاءَ الكون والبشر.

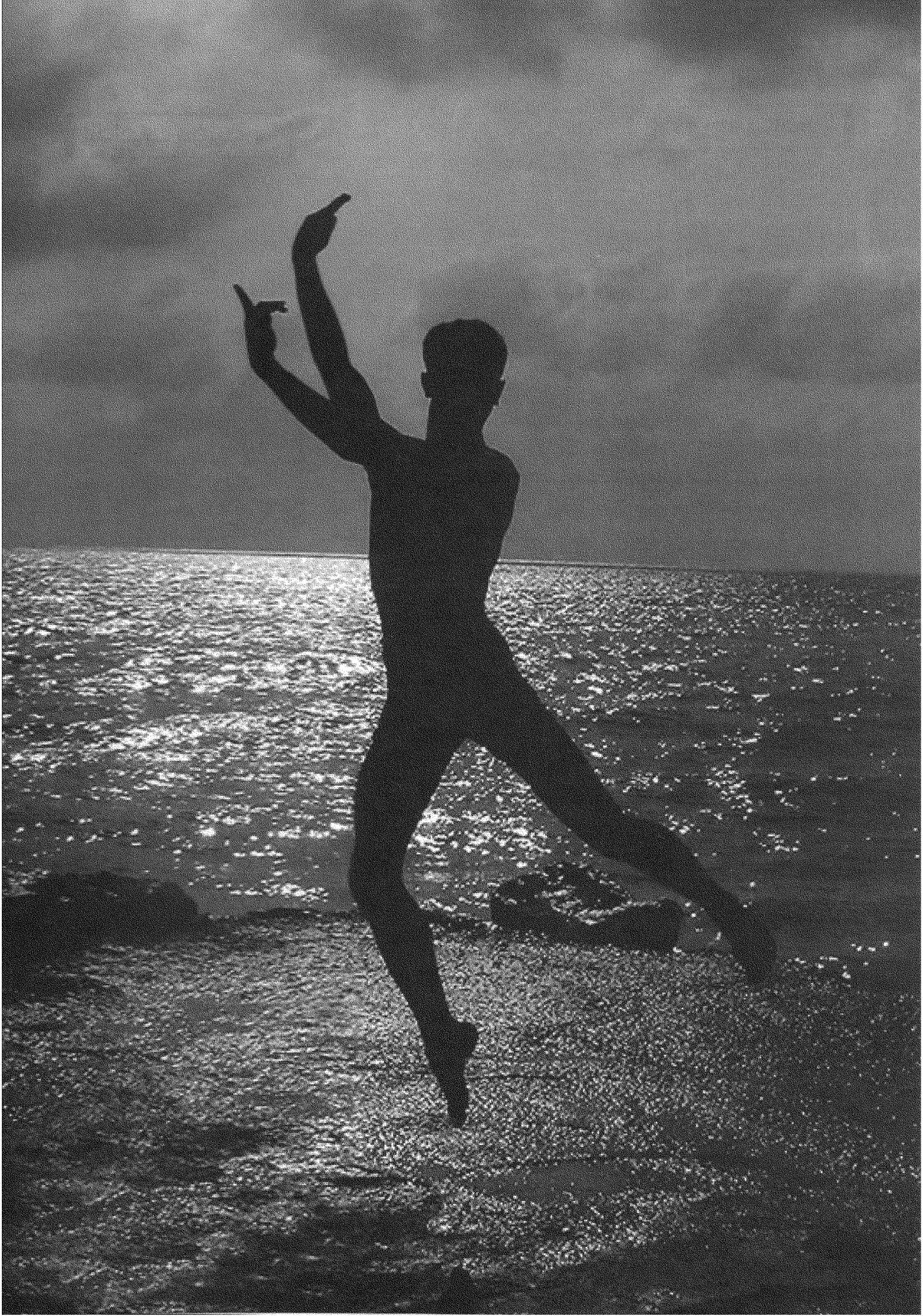

مفردات يوميّة

. طارق نوفل .

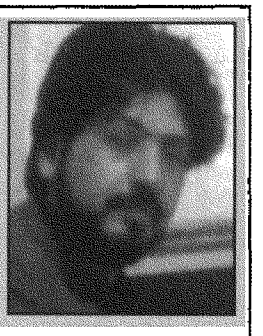

طارق نوفل
شاعر سوريّ، مواليد ١٩٨٠. ينشر في الدوريّات العربيّة، وله عدة دواوين: **بين خريفين، مزاج الريح، أشياء تهوى الحياة.**

على أنغام مارشسلاف، حضرتْ. شدَّها من يدها. دفعتْها الريحُ إلى صدره. ضمّها. رائحةُ البارود تفوح منها، هي الآتية من شوارعَ مُشتعلة، وقد عبرتْ أثناء استراحةِ القنّاصة.

همستْ: «أشعلُ أيَّ شيءٍ، أريد أنْ أرى وجهك.»

أشعلَ شمعةً، ووضعها على حافة النافذة. تمدّد الظّلُّ الأحمر على ثلثيْ مساحة البلّور، فبدا كمعتقلٍ معلّقٍ ينزف في أحدِ الأقبية السرّيّة.

«لا وقت للكلام،» قال لها، «اقتربي سريعًا.» غرسَ عشرة نصالٍ بيضاءَ في شفتها السُّفلى. فشعر أنّ جيشًا مسالمًا يسيرُ في أزقّة جسده.

مرّر يديه في شعرها، فارتطمتا بدبابيس سوداء، جثثٍ متفحّمةٍ لقتلى مجهولي الهويّة، رُموا على عجلٍ بين الأدغال.

تلمّس حاجبيْها. بالأمسِ كانا جسرًا واحدًا، قبل أن تفرّقهما عبوةٌ ناسفةٌ إلى جسرين: لا الذين ذهبوا يستطيعون العودة، ولا من في الداخل يستطيعون الفرارَ بعد أن تُركوا وحدهم في مواجهة مصيرهم القاني.

الظلُّ الأحمر يدلف من الجدران وينعكس على كلِّ الأشياء. توغّل بعينيها. عينان خضروان تتمرأى بهما شمعةٌ حمراءُ. سهلا قمحٍ في آذار، أحدُهم أضرم النيرانَ فيهما ليحرمَ العصافير مؤونةَ الشتاء.

قبّل شامةً واضحةً على خدّها هي آثارُ قذيفةٍ لرامٍ أصاب هدفَه بدقةٍ.

بيديه، بعينيه، يتفحّصها كأنّه للتوّ يتعرّف إليها. مال برأسه إلى اليسار قليلاً، وأخذ يتأمّل قرطيْن يتدلّيان كجنديْن منشقّيْن أعدما أمس وقد يحاكَمان غدًا أو بعد غد.

شعر بجفافٍ مزمنٍ يقطن ثغره. نظر إلى صدرها وأشار إلى أقدم ينبوعيْن آدمييْن يكفي أن تمرَّ شفتاكَ بمحاذاتهما حتّى تشعر بالارتواء.

أمسك بياقة القميص. بخجلٍ أنثويّ تراجعتْ إلى الوراء قليلاً. ترنّحت الطاولةُ خلفها – الطاولةُ ذات القوائم الثلاث، التي قطعَ جزءًا منها ليتدفّأ به، فبدت كضحيّةٍ لا ذنب لها إلا أنّها خرجتْ في الصُبح لتشتري الخبز فمرّت في الشارع الخطأ.

تتملّكه رغبةٌ فاحشةٌ في دهم الينبوعين، إلا أنّ أزرار القميص الكبيرة الكثيرة بدت أشبهَ بنُقَطِ تفتيشٍ كثيفة، فخشي ورودَ اسمِه هناك، ومن ثمَّ الذهابَ في غياهب النسيان.

في هذه اللحظة كان الظلُّ الأحمر يقطنُ فوق الفراش، فيغدو سريرًا معطوبًا داخل مشفًى ميدانيّ.

تناسى عطشَهُ. أراد الولوجَ إلى المنطقة الوسطى، حيث حرارةُ الزمن تعدّل من برودة الطّقس. «لا بدَّ من المناورة،» قال في نفسه. هبط إلى الأسفل. نزعَ الجوارب. خمسُ أصابع رقيقةٍ بيضاء بطلاءٍ توتيّ. متظاهرون صغار أصيبوا للتوّ. المشفى محاصرٌ بأشباحٍ مستعرة. الطبيب المعالِج عالقٌ بين حاجزين. ينزفون وينزفون وقد يموتون. تتسابق محطّاتُ التّلفزة إلى إعلان سبقٍ جنائزيّ.

تابع سيره. الليلُ يقوم بانسحابٍ تكتيكيٍّ. النمش الكثيف، المتناثر في كلّ مكان، آثارُ رصاصٍ لجنودٍ تعمّدوا ألّا يصيبوا الهدف.

الطريقُ أطول ممّا تصوّر. التعب، يتسلّل ليعتقله. فكّر هنيّهةً: لماذا لا أتسلّل إلى الخصر، فأهبط إلى المنطقة الوسطى؟

راقت له الفكرة، فنهض سريعًا. أطبق بيديه على الحزام المعدنيّ. الطوق الأمنيُّ كان شديدًا. الحزامُ مشدودٌ إلى الخصر بعنايةٍ فائقة. رفض الحزامُ أيَّ حلٍّ أو انحلال.

أحسَّ بعجزٍ يجتاح ضواحيَ جسده. شعر بروحه تتداعى تحت قصف فراغٍ يحتلّه الآن. هوت يدُه، كأنياب ذئبٍ استسلمتْ لفريسة.

انسحبَ. رمى بجثّته على الفراش، وسلّم وجهَه إلى الجدار. لملمتْ ما تناثر من شهوتها. بهدوءٍ استلقت بجواره، وسلّمتْ وجهَها للجهة المقابلة، تاركةً بينهما مسافةً للفراغ وللجغرافيا ليطرحا أسئلةً عن غدهما.

نام كلٌّ على حدة، بانتظار قرارٍ كونيٍّ ببزوغ شيءٍ ما.

رنا سفكوني
من سوريا، مواليد١٩٧٩. كاتبة وصحفيّة.

صندوق البريد

. رنا سفكوني .

كانت أولى رسائله إليّ بغرض فتح جسرٍ بين غربته والوطن.
لـم نكـنْ نعـرفُ بعضنـا بعضًـا سـوى مـن خـلال جُمـلٍ تبادلناهـا عبـر الوسائل الإلكترونيّة.
قال: تعالي نتعمّد بالحبر، فنجعل وسيلتنا في اللغة ورقةً تمحو المسافات.
أرسلـتُ إليه عنواني البريديّ. بعد أيّامٍ وصلتني منه رسالـةٌ معنونةٌ بـ «أوّل الهذيان.»
فتحتُ المغلّفَ الصغير. كان يحوي بطاقةً لمدينة باريس كُتِبَ على ظهرها «من مسافةٍ بعيـدةٍ عن الوطـن سنكتبُ إلينا» وورقةً بيضـاءَ طرّزها بجُملٍ فَتحـتْ غوايةَ العناوين بيننا.
ومنذ تلك اللحظةِ صارت العناوينُ اختزالاً لاسم الوطن.

أوّل الهذيان

صديقتي:
بـتُّ لا أعرف كيف يُطـرحُ السؤالُ بين رجلٍ وامرأةٍ لا يجمعهما سـوى إشارةِ استفهامٍ تنتظر جوابًا قد يأتي بعد أيّام.
سأخبـرك في بادئ الأمر أنّي مقيمٌ في باريس منـذ أكثر من عشرين عامًا، وأنّي بعد كأس النبيذ الرابعة لا أستطيع الإمساك بسؤالٍ يجمع كلَّ الإجابات التي أبحثُ عنها.
هل يصلحُ أن أسألَ كيف حالُ الوطن؟
هل حقًّا أصابه الوجع؟
أينزف؟
أيصرخ؟
هل كسروا ضلعًا من أضلاعه؟
أم هو انسدادٌ في شريان القلب؟
الآن، لا أريـدك أن تكترثي لهذا الخطِّ المرتجف؛ فليست أصابعي هي التي تكتبُ تلك المخـاوفَ الهاربـة من سؤالٍ لا أستطيـع القبضَ على إشارة استفهامـه. إنه القلبُ يا صديقتـي؛ فقد نبتتْ لـه أصابعُ تمتدُّ، كلّما فاض الوجعُ بـه، إلى محبرة لا أدري كيف تحوّلَ حبرُها الأسودُ إلى ما يشبه الدمَ المتخثّر.
ربّمـا نسيتُ أن أسألكِ عن أحوالـك الشخصيّة، أو ربّما حالُك انعكاسٌ لحالِ الوطن، أو

ربّما باتت أحوالُنا مؤجّلةً إلى حين يصبح الوجعُ ذاكرةً بعيدةً.
أنتظرُ منك رسالتك الأولى.
مودّتي لكِ
طارق

❖❖❖

مضت أيامٌ وأنا أفكّرُ في الرسالة التي سأكتبها له. هل أخفّفُ من قلقه فأجمّلُ الحقائق؟ أمْ أسرد له قصّةَ الوطن كما أشعرُ بها؟ أمْ أُحوّلُ رسالتي إلى تقريرٍ إخباريٍّ كما تفعل محطّاتُ التلفزة؟
في نهاية الأمر قرّرتُ أن أكتبَ إليه من دون الاكتراث للأسلوب، إلا أنّي في سرّي كنتُ أتعمّدُ إيصاله إلى حافّة الأجوبة المتاحة؛ فقد كنتُ متأكّدةً أنّنا، على الرغم من محاولاتنا إيجادَ الحياد للإجابة عن سؤالٍ ما، سنقعُ في فخّ اللاإنصاف عندما نقترب من توصيف الحدث، وغالبًا ما تبوءُ توصيفاتُنا بالفشل لحظة وصولنا إلى منتصف الإجابة.

❖❖❖

ولأنّه أوّل الهذيان

نعم طارق..
الوطن ليس بخير. يقفُ على ساقٍ مرتجفةٍ، وأخشى أن يبدّلها بعكّازِ الموت.
في الصباح نستيقظ على تأوّهاتِ الجرحى والمعتقلين. أحدُهم يضغط زرَّ عدّاد الموت. نجلس أمام الشاشة نترقّب الرقمَ الذي يتصاعد كلَّ ساعة. ما نلبث أن نتحضّرَ لفاجعةٍ، ربّما هي المجزرة، لنفجّرَ كلَّ عدّادات العالم قهرًا وحزنًا وعجزًا.
أدركُ أنّكَ ستقدّر غيابَ الفرح في رسالتي. الآن تهاجمني فكرةٌ خرقاءُ، وكأنّنا قمنا بعقد اتفاقٍ غير معلن على تغييب حكاياتنا الشخصيّة.
ها أنا أهجسُ بأسئلةٍ تحاصرني في اليقظة والنوم.
صارت تلاحقني صورةُ سوريا تضع يدَها على بطنها المنتفخ.. تتلمّسُه.. وتسأل:
أهو حمْلٌ كاذب؟
أمْ جنينٌ مشوّه؟
أمْ تخمةٌ زائدةٌ بالبشر؟
وكم من المرّات أدار لنا السؤالُ ظهره.. ومضى.
مودّتي
سلمى

❖❖❖

خوف

مودّتي
سلمى:
رأيتُ على محطّات التلفزة أنّ المدن محاصرةٌ بالدّبابات، وأنّ شبحَ الموت يقفز من مدينةٍ إلى أخرى. صورٌ لآليّاتٍ عسكريّةٍ، وجنودٍ يحملون عتادَهم الكامل. بشرٌ يتساقطون من السماء كالمطر. أيّ محصولٍ سينبت في البلد؟
يَصعقُني الخوفُ كلّما مددتُ يدي إلى جريدةٍ تحمل خبرًا عن الوطن. الخوفُ، سلمى! الخوف بات رجلاً ينهض نحوي ويبدأ بركلي وضربي، على الرغم من المسافة التي تفصلني عن مكان الحدث. البارحة فقط أدركتُ كيف نسقطُ باتّجاه هاوية الرعب، حين كنتُ أمشي في شوارع باريس الفارغة من ضحكات أطفالنا، تلك الشوارع الموحشة كقبرٍ لا يزوره أحد. للحظةٍ، شعرتُ بخُطاي تمشي في دمشق، أو ربّما تهرول بين المتظاهرين خشيةَ رصاصة طائشة.
أأهذي؟
كأنّي بدأتُ أفقدُ حاسّةَ الشمّ ببحثي عن هواءٍ آخر خارج باريس.
طارق

❖❖❖

حاجز الخوف

طارق:
معك حقّ. فحين نبتعد بالمسافة عن الموت، يصبح الخوفُ مضاعفًا. الناس يدفّون مساميرَ الوجع ليعلّقوا صورَ شهدائهم على جدارِ الخوف. من كثرةِ صورهم انهارَ الجدار. من ثقل الموت اهتزَّ الخوفُ. مَن فقد طفلاً أو أبًا أو أخًا أو أمًّا، خرجَ ليشيّعَ الخوفَ مع جثامينهم. الخوف تجاوز الأرواح إلى مكانٍ آخر. بات الرعبُ الأكبر أن يتوهَ مفهومُ الوطن، أن تشوّه أحلامُنا فيه، أن نفقدَ عناوينَ من أحببناهم.
تخيّلْ أنّهم يطالبوننا بسحق ذاكرتنا، واقتصاص عمرٍ من أعمارنا ووضعه في خندقٍ للموت. وما أكثرَ الخنادقَ في هذا الوطن: كلٌّ يريدُ حفر خندقه ليقتلَ عدوَّه في الجهة المقابلة من الحياة. ومن دون سابق إنذارٍ، تحوّلت الخنادقُ إلى مقابرَ جماعيّةٍ.
ما أريده منك هو أنْ تحوّلَ خوفك إلى قوّة؛ فرغم هشاشة طلبي إلا أنّي لا أملكُ سوى مطالبتك بالوقوف مكابرًا أمام الألم.
سلمى

❖❖❖

حمص؟

كيف؟

كيف؟؟

قولي كيف حدث؟؟؟

قولي إنّ ما أسمعُه من أخبارٍ ما هي إلا بمنزلة كذبة الأوّل من نيسان!

أو قولي لي إنّي لم أستيقظْ بعد، وإنّي مأخوذٌ بكابوسٍ سينتهي بعد قليل!

قولي أيَّ شيء!

سلمى، هناك مَن يمتصُّ الهواءَ في رئتيّ. أشعرُ بالمسافة وكأنّها حبلٌ مشنقةٍ يلتفُّ على عنقي.

أشعر أنّي حمص.

أنا أختنقُ، سلمى. أخرجيني برسالةٍ تبدّدُ هذا الهراء. أعيديني إلى الحياة بالقول إنّ ما حدث كان عرضًا سينمائيًّا فاشلاً.

❖❖❖

بماذا أخبره؟

بعددِ القتلى؟

بسقوطِ المدن في يدِ الطغاة؟

بتجارة الموت المزدهرة؟

لم يكن أمامي سوى الصمت.

بعد أسابيع من رسالته الأخيرة وصلتني رسالةٌ منه بلا عنوان.

وقفتُ أيّامًا أردّد أمام الرسالة: «لن أقرأك.. لن أقرأك...»

لكني فتحتُ الظرفَ الصغير.

❖❖❖

؟؟؟

سلمى يا وطن!

اشتقتلك.

خايف عليكي. أنا انتظر..

فقط.. أنا

❖❖❖

بكيتُ. بكيتُ عن الأمّهاتِ اللواتي فقدن أولادهنّ.. عن الأطفال الذين أصبحوا في عدادِ اليتامى.

بكيتُ على رجالٍ يقاومون منطقَ البكاء.. على الشوارع والمدن والقرى والساحات.. عن الذاكرةِ والجيرة والأقارب. وربّما بكيتُ عن القاتل والمقتول.. وعن قبرٍ كبيرٍ يتّسعُ لنا جميعًا.

كتبتُ رسالتي إلى طارق، وقلتُ فيها:

«يأخذني إليك حلمٌ اسمه الوطن. ها أنا أمدُّ يدي في محاولةٍ لابتلاع المسافة بيننا؛ فعلى أحدنا أنْ يمسحَ الدمع، وعلى الآخر أن يبكي. نعم، أريدُ تبادلَ الأماكن والأدوارِ والمواقف بيننا. وأريدُ أنْ أكونَ أنا صاحبةَ إشارةِ الاستفهام، وأنتَ صاحبَ الإجابات.

تعال نلتفّ على الوجع بنصفِ دائرة. فلتكن لي المسافةُ، وليكن لكَ المكان هنا. حينها فقط ربّما يحقُّ لي الصراخُ عاليًا: تعبتُ، تعبوا، تعبنا.

وأنا أيضا أشتاقُ إليك اشتياقي إلى هذا الوطن...»

انكسارٌ واحدٌ فقط كان ما تحتاجه الرسالة. في الخطِّ المنكسر في منتصفها تمامًا، كنتُ أخبّئ رغبتي في الرحيل إليه. طويتُ الرسالة ووضعتُها داخلَ ظرف، وأدخلتها الدُّرجَ الذي أبى القلمُ سابقًا أنْ يدخل إليه. ربّما كنتُ برسالتي الأخيرة، التي لم أُرسلها، أتعمّدُ تفخيخ صندوقِ البريد بالغياب.

❖❖❖

.....

سلمى.....!

.... ؟؟؟

أنا

عن الطفولة والذكريات

. عبود سعيد .

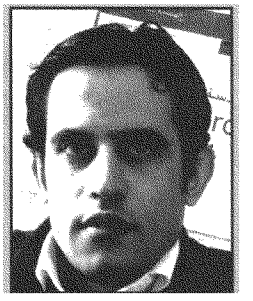

عبود سعيد
كاتب من سوريا .

رُبّيتُ في بيتٍ لا يعترف بليلةِ القدر التي كنتُ أسمع عنها من صديقي مالك الحرامي.

مالك قادرٌ على سرقة كلّ شيء، حتى الأحلام. كان يذهب إلى الجامع بشحّاطةٍ مهترئة، ويخرج بحذاءٍ جديد. بل هو سرق كرات القدم والسلّة الموجودة في غرفة الرياضة في المدرسة. وأحيانًا كان يسرقُ الشيءَ ثم يتلفهُ في مكانٍ آخر.

جلسنا أنا ومالك في ليلةٍ شتائيةٍ وسألني: ماذا لو طلعَتْ لك ليلة القدر، فماذا تريد؟

قلتُ له: رأيتُ في إحدى حلقات توم وجيري أنّ توم كان لديه كريم، ما إنْ يدهن به جسدَه حتى يتوارى .أريدُ الكثير من هذا الكريم، عندها لن أحتاجَ إلى ملابس. وعندها، يمكنني الدخولُ إلى السينما من دون تذكرة، ويمكنني أن أعرّي النساءَ المارّات، ويمكنني أن أشاركَ في الاحتجاجات. لن أحتاجَ إلى مظلّةٍ عندما تمطر، بل سأمشي تحت مظلّةِ أيٍّ أحمق. كما أنني أريدُ أن تغلقَ المدرسة. أريد أنْ أجرّبَ الكونياك. أريد أن يكفَّ بابا نويل عن هذا الهراء.

ردّ مالك: في ليلة القدر، لا يحقُّ لك أكثر من ثلاثة طلبات.

مالك ترك الدراسة وسافر إلى السعوديّة. منذ سنةٍ رأيته في الشارع مصادفةً. كان يرتدي جلابيّة قصيرةً، وكانت لحيته طويلةً جدًّا. لم يتوقّفْ ليصافحني، ولم يلقِ عليّ السلامَ. عندما التقت عينُه عيني، اكتفى بالابتسامة، وتابع مسيره.

❖❖❖

في مدينتي ما زالت الزفّة هي التي تُعبّرُ عن شأن الشخص. فكلّما زاد عددُ السيارات زاد العريسُ قيمةً. وفي مدينتي أيضًا يتقدّم الرجلُ المرأة ثلاثَ خطوات.

عندما كنتُ في الإعداديّة التحقتُ بدورةٍ لتعليم الإنكليزيّة خارج المدرسة. كانت المدرّسةُ شقراءَ، وترتدي بنطالاً ـ وهذا موضوعٌ إشكاليٌّ في مدينتي. صرتُ حينها أستحمُّ كلَّ يوم، وأستعير من أصدقائي الثيابَ والأحذية لأظهرَ دائمًا بشكل متجدّد. وكنتُ آخذُ كتابًا من مكتبة البيت بشكلٍ عشوائيٍّ لألفتَ انتباهها.

ومرّةً لاحظتْ معي رواية **كيف سقينا الفولاذ**، وهي تعرف أنّ أهلي يعملون في خراطة المعادن وتفريزها. قالت: «براڤو عبّود، لازم تتعلّم المصلحة على أصولها وبشكل علميّ.»

الآن كبرتُ، وصار عندي حسابٌ على الفيس بوك، وصرتُ أشارك في كلِّ شيءٍ بشكلٍ افتراضيٍّ، حتى في الصفحات التي تطالب بوقف جرائم الشرف، وكلُّ هذا من دون علمِ مدينتي. بالمناسبة، كانت زفّة المدرسة كبيرة جدًّا.

❖❖❖

عندما كنتُ صغيرًا كنتُ دائمًا خارجَ المنزل حافيًا ومن دونِ سروال. وكانت لعبتي المفضّلة هي «الحُفر.» كنت أحفرُ بيديَّ العاريتين حفرًا صغيرةً جدًّا، وكان ابنُ الجيران (صديقي) الذي أكرهه لأنّ رائحته جميلةٌ ولأنه وسيمٌ وأنيقٌ يقول عن القطّة: CAT ويبتسمُ ببلاهةٍ وتغمره السعادةُ عندما يراها. كان غبيًّا جدًّا، لا يهتمُّ بالحفر، وكلُّ ما يعرفه عنها جملةٌ واحدةٌ يردّدها الحمقى: «مَنْ حفر حفرةً لأخيه وقعَ فيها.»

أما أنا فقد أتعبتني الحفرُ. إلقاءُ التحيةِ حفرة، كتابةُ الشعر حفرة، متابعة نشراتِ الأخبار حفرة، النوم حفرةٌ مؤقّتة، الأصدقاء حفرٌ مبعثرة، بين فخذيكِ سيّدتي حفرةٌ مشتعلة، الوطنُ حفرةٌ ضيّقة، الحبُّ حفرةٌ عقيمة.

الآنَ بعد أن كبرتُ وصارت لديّ يدان من حديد، جاءت العاصفةُ وردمتْ كلَّ هذه الحفر .

❖❖❖

عندما تعلّمتُ التدخينَ صرت أسرقُ بيضَ الدجاج من الخمِّ وأستبدلُه بالسجائر.

وعندما أُفلسُ من السجائر أتساءل: كم شخصًا على وجه الأرض يدخّنُ في هذه اللحظة؟ وأشتمهم. أنا حاقدٌ على كلِّ شخصٍ يملكُ علبةَ سجائر، وأتمنّى أنْ يتحوّل إلى رماد.

حاقدٌ على السمّان الذي يطالبني ببضعة نقود، وأتمنّى أن يموتَ بسكتةٍ قلبيّة.

حاقدٌ على كلِّ النساءِ الجميلات؛ على: جينفر لوبيز، وماريا شربوڤا، ومايا دياب، وكاميرون دياز، وأتمنى أن يعشْن حافياتٍ بلا حذاء. حاقدٌ على الذين يجلسون في فنادق ومطاعم خمس نجوم، ويتحدّثون عن حقوق الإنسان. حاقدٌ على المرأة التي فشلتُ في مضاجعتها وأتمنّى أنْ تتزوّجَ رجلاً بلا قضيب. حاقدٌ على كلِّ الذين كشفوني ويعرفون عيوبي وأتمنّى أنْ يجرفَهم الطوفان. حاقدٌ على كلِّ شيءٍ جميل، على الليلِ والپكيني والڤودكا والجاز وحسن بلاسم ـ كم تمنّيتُ لو لم يكنْ حقيقةً. حاقدٌ على قلبي الضعيفِ الغبيِّ الذي يخذلني أحيانًا.

أصدقائي الجدد، أنا أحبّكم بشكلٍ مؤقّت .

❖❖❖

أذكرُ أنّي كنتُ أبحث في المزابل عن بقايا حزوز الجبس، وأقشطُ ما تبقّى من ثمارها. أذكرُ أني كنتُ أذهبُ إلى المدرسة بيدين متّسختين، وعندما تعاقبني الآنسة بالضرب بالعصا ترى يديَّ الملوّثتين وتقول لي «أنت مأنشّح.» أذكر أنّي أمسكتُ زبّ حمار مرّةً وحاولتُ أن أنزعَه لكنّي لم أتمكّن. أذكر أنّي كنتُ أسخرُ من تحيّةِ العلَم و بنطال الأستاذ. أذكر أني حفرتُ على حائطِ المدرسة مساندَ للأقدام لكي أتمكّنَ من تسلّق الجدارِ والهرب. وكنتُ أحبُّ الشيخ إمام، وساقيْ جارتنا عندما كانت تشطفُ الدرج.

الآنَ بعد ما أصبح عمري ٢٨ عامًا، اكتشفتُ الكروصان حين دخلتُ الجامعة. واكتشفتُ أنّ أغلبَ البشر تحتفلُ بعيد ميلادها. وها أنا الآن برفقةِ علبة سجائر، وغرفةٍ خجلة، وكأس ڤودكا رخيص، أحتفل بعيد ميلادي كشخصٍ مواظبٍ ومتمرّس .

❖❖❖

كنتُ أكرهُ بابا نويل وثيابَه الحمراء، وقلتُ عنه مرّةً إنّه رجلٌ دجّالٌ ومشعوذ.

وفي المقابل، كنتُ أحبُّ ذلك الماردَ الذي يخرج من المصباح السحريّ، ولطالما تخيّلتُ أنّه سوف يخرجُ لي من إبريق الشاي.

لن أطلبَ إليه أن يأتيني بالحلوى. لا أريدُ هدايا ولا ثيابًا لأرتديها في العيد.

هنالك أسئلةٌ أبحثُ عن الإجابةِ عنها منذ الصغر. مثلاً:

هل الله يشرد؟

ماذا يفعل توم وجيري وراءَ الكواليس؟ هل يمارسان الجنس؟

هل الطغاةُ يستمعون إلى الموسيقى؟ هل يعجبهم شعرُ محمود درويش؟

هل تتغوّط هيفا وهبي مثلنا؟

لماذا لا يهاجرُ القملُ من شعر الرأس إلى الذقون واللحى؟

متى أشربُ القهوةَ وأصبحُ رجلاً؟

ظهر الماردُ فجأة. وعندما سألتُه تلعثمَ لسانُه، وأدخلَ نفسَه في المصباح عنوةً يجرُّ وراءه أذيالَ الهزيمة.

❖❖❖

كنتُ عندما أخرجُ من البيت لا أخبرُ أحدًا، وعندما أعودُ من المدرسة مثلاً لا ألقي التحيّةَ على أحد؛ فنحن في المنزلِ لا نتبادلُ التحيّةَ أو السلام إلا في الأعياد.

لـم أطفئ في عيـد ميلادي شمعةً. لـم أكتبْ رسالـةً غراميّةً لأحـد، ولا مـرّةً حملـتُ بيـدي وردةً. فـي الربيـع كان أغلـبُ التلاميـذ يهـدون الآنسةَ الـورودَ والأزهار، أما أنـا فأهديتُها أيقونةً مـن عظمتين وجمجمة. في درس الرسم طلبت الآنسة أن يرسـمَ كلُّ تلميـذٍ ما يحبّـه، فرسمتُ مؤخّرتهـا على شكل شعـار الخير والشرّ الـ «ين يانغ» وكتبتُ لها في الأسفل: «كلّما داعبَ الأصدقاءُ جراحي تماثلتُ للموت.»

❖❖❖

كنتُ أحبُّ أرنولـد شوارزنجر وأفلام الأكشن، ولطالما حلمتُ أن أكونَ تيرمينيتر بقضيبٍ من الفولاذِ مكسوٍّ بالأنسجة الحيّة. عندمـا كنتُ أجلسُ وحدي على المصطبة، أضعُ في فمي قلماً أو عـوداً وأتخيّلُ أنني أدخّن سيجـارة. كنتُ أعيشُ الحالة إلى درجـةِ أنني أتلمّسُ جيوبـي بحثًا عن القدّاحـة. وعندما كنتُ أركبُ سيّارةً أضعُ يدي على الشبّاك. وعندما أعطي حُجّةً غير مقنعةٍ أحكُّ رأسي.

لم أكنْ مهتمًّا إذا كان الهاتفُ يرنُّ أو البابُ يُطرَق. كنتُ أشتم السمـاءَ حين تمطـر. كانت غرفُ المنزل تخـرُّ علينا قطرات الماءِ وكنّا نضع وعاءً تحت شقوق الغرفة.

❖❖❖

في الحمّام لا يُعرّي الإنسانُ جسدَه فقط، وإنّما يُعرّي الحقيقة أيضًا.

لم أحبَّ الحمّامَ على رغم من أنه بسيطٌ (كان جرنًا وحنفيّةً). كنـتُ أهربُ مـن رؤيةِ جسـدي، أهربُ من شعـري الذي كان يتساقط بغزارة. أهربُ من الحقيقة.

أنتم لا تعلمون: تلك المرأة التي ترتدي الهباري وتجلسُ وسط رصيـفِ المدينة المزدحـم وتُرضعُ ابنها، هـذه أمّي. الرجل الفلاح الـذي يرتدي شماخًـا وجلابيّةً ودخلَ علـى محلٍّ لبيع الكاسيـت وسأل صاحبه عن حفلة «حناجركم» لسميح شقير، هذا أبـي. الشابّ الذي يحْضر العرسَ بثيابٍ ملطّخةٍ بالزيوتِ والشحـوم وبـرادة الحديـد، ودائمًا يكسرُ حـذاءه الرخيص، هـذا أخي. الكتبُ التي أحرقناها في حُلّة الحنطة، هذه كتبي. الباب المتواضع الذي يوجد فوقه مصباحٌ أصفرُ ضعيفٌ يكاد ينطفـئ، هذا بابُ بيتنا. والحقيقـة أنّ أهالي أصدقائي كانوا يمنعون أبناءَهم من اللعب معي لأنني «فلتان.»

بالمناسبـة، علـى بـاب بيتنـا مكتوبٌ: «حجًّـا مبـرورًا وسعيًا مشكورًا.»

❖❖❖

لم أذهـبْ إلى مدينة الملاهي، ولا ركبـتُ القطارَ، ولا جرّبتُ أن أطيّـرَ طيّارةً ورقيّـةً. ودائمًا كانت خيـوطُ حذائي مفلولة. كان عندي شيءٌ اسمه «جطل،» اصطدتُ فيه عصفورًا واحدًا، وكان لا يقـوى علـى الطيران؛ كنتُ أنا سبـب انتهاءِ حياةِ هذا العصفور.

أنـا مَنْ هدمَ داليَـة العنبِ واتّهمتُ أخي بذلـك. وأنا مَنْ كسرَ زجـاجَ النافذة بكرةِ القدم. أنا مَـنْ كنتُ أسكبُ الكازَ في غار النمل، وأعطّلُ مكابحَ السيّارات. أنا مَن تسبّبَ بحادث الأميرة ديانا. أنا الذي قتلتُ غودو، فلا تنتظروه. أنا من أغرقَ سفينةَ التايتانـك. أنا الـذي سلّمتُ بغدادَ مقابل وجبـة همبرغر. أنا الـذي نمتُ مع قِـردةٍ وجلبتُ لكـم فايروس الإيـدز. أنا الذي أقنعتُ آدمَ بأن يأكلَ التفاحة.

أنا سببُ كلِّ كلِّ هذا.

أنا سيّدُ الكون.

أميرُ الخراب.

❖❖❖

لـم تكن عندي ألعابٌ مثل سيّارة تتحرّك بواسطةِ البطاريّات. لم يكنْ عندي «دبـدوب» يضعونه على السرير. لم يكن عندي سريـرٌ، ولا سرير عندي إلى الآن ـ فأنـا أنامُ على فراشٍ على الأرضِ، وهو مِنْ صنع أمّي. كان لـديّ سيفٌ من خشبٍ، وكان لصديقي أيضًا مثلُه، وكنّا نتبارزُ.

وكنـتُ عندما أرى هرّةً أو كلبًـا، أُسرعُ وأنتشـلُ حصاةً وأنفخُ عليها «نفخة البركة،» ثم أصوّبُ.

كنـتُ ألعـب لعبةَ البصـاق: أقفُ أنا وأصدقائـي على مستوى واحد، ونستعرضُ مَنْ بصقتُه أقوى وأبعـد. كنتُ أبصقُ على أطفـال الدبية، على أصحابِ السيـوف الحديديّة، على الذين كانوا يخيفونني، على معـاون مدير المدرسة الذي كان يحملُ عصًا وعندما تمطرُ يقول: «خيرُ آذار هذا خيرُ آذار.»

كنتُ أبصق على برّاد بيتٍ، على الإعلام السوريّ، على ربطاتِ العنق والمكياج والواجبات، علـى مصابيح الكهرباءِ والشموع ومجلسِ الأمـن. الآن، وقـد كبـرتُ وأصبح فمي جافًّـا، أقولُ لهؤلاء: تفوووووووووووووووووو.

❖❖❖

يقـول أخي: «إنّ الحُلمَ ناتجٌ عن عمـل الدماغ بشكلٍ عشوائيّ، ويقوم بمزجٍ بين الأشياء والشخصيّات والأزمنة.»

حلمـتُ مرّةً: أنّني كنـتُ أمشي وسطَ قطيعٍ مـن النمل بحجم الإنسـان. كان هناك دماءٌ وأطفالٌ مشوّهون. وكنتُ أنا المسخ (غريغور سامسا) الذي تحوّلَ إلى حشرةٍ ضخمة.

جاء جسدٌ مجهول الهويّة والتهم حنجرتي. وكان هناك شخصٌ يُصلَبُ وهو يصرخ: «الجمالُ سينقذ العالمَ.» وكان البشرُ يتوافدون إلى قطارٍ يقولون إنه ذاهبٌ إلى المستقبل. عندما رأيتُه صرتُ أركض بسرعة مَنْ يطاردهُ كلبٌ مسعور. ركضتُ بأقصى جهدي. عبرتُ البحارَ والمحيطات والحدود. بقيتُ أركضُ سنواتٍ مثل فورست غامب. أركضُ وأركض. كان قريبًا جدًّا، على مرمى نظر، لكنّني لم أستطع الاقتراب منه. في الصباح، عندما استيقظتُ، قال لي أخي إنني كنتُ أهذي وأنا نائمٌ وأقول: «المجزرة ستنقذُ العالم.»

❖❖❖

عندما كنتُ صغيرًا كانت أمّي تقول: «هذول الأجانب كلّهم رح يروحون عالنار.» أنا محظوظٌ إذًا فهذا يعني أنّني من الذين سوف يذهبون إلى الجنّة، وفي الجنّة خمرٌ وحوريّات. هناك لن تظهرَ أصبعُ قدمي الكبيرة من جوربي مثل سلحفاة حالمة، وهناك ستكون لديّ جارةٌ جميلةٌ، ومسمارٌ لأعلّقَ عليه معطفي وأحلامي.

البشرُ هناك لا يحتاجون إلى النجدة، وبوبايْ لن يحتاجَ إلى سبانخ. لن تحتاج إلى وسائل إعلام ولا إلى شفرات حلاقة. وهذا لا يعني أنك سلفي؛ لأنّ الحياةَ هناك لا لحًى فيها ولا شوارب. الحياةُ هناك جميلةٌ مثل حمص، لذيذةٌ مثل غيمةٍ بين قطعتيّ بسكويت، شائقة مثل سيّارةٍ مسرعة.

الحياةُ هناك لا تشبهني أبدًا.

الآن أشعلُ سيجارةً وأضع قدمي اليسرى فوقَ اليمنى وأقولُ: أنا محظوظٌ إذًا.

أنظر إلى أمّي التي تركت الصلاة، أمّي التي قلتُ عنها مرّةً إنها لا تقرأ ولا تكتب وتقول عن النبيذ: «إنه لذيذٌ وليس حرامًا.»

❖❖❖

في المدرسة، عندما يعلّموننا الكتابةَ والقراءة، كان أمامنا على الطاولة كتابٌ فيه دروس عن باسم ورباب وحرب تشرين التحريريّة. يقولُ الأستاذ «اقرأ الدرس.» طبعًا يجب أن تقرأ وأنتَ تتبّعُ بأصبعك لكي لا تضيعَ وتتخطّى أيَّ كلمة. كانت إصبعي تصطاد بعض الكلمات أو العبارات مثل: حجر، بول، يعدو، تغوّط في باحة المدرسة، شبح، ليل، نار، باسم يحدّقُ إلى مؤخّرة رباب، رباب حامل، نمش، سخرية، ريح، زلزال، دفنوها وهي على قيد الحياة، حلمة خائفة، وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة. وهناك كلماتٌ كنتُ لا أتوقّفُ عندها ولا أراها، كلماتٌ أقلّ من أصبعي بكثير، مثل: انتصر، عصافير، قهوة، جُملة يليها صفة «طلائعيّة»، حبّ، شمس، مطر، ياسمين، أحلام سعيدة، سماء صافية، لا تقطع الشارع، الإشارةُ حمراء، يجب غسلُ اليدين قبل الطعام وبعده، يجب أنْ يحبَّ الزوجُ الزوجةَ، ويجب أن ينتصرَ البطل في نهاية الفيلم ويتزوّج المرأة الجميلة.

الآن كبرتُ، وصارت إصبعي في سنّ اليأس، وكلماتي تكاد تهلك.

❖❖❖

كنتُ عاملاً سوريًّا في لبنان، أعيش في غرفةٍ من الحديد داخلَ المصنع الذي أعملُ به. كانت الغرفة رديئةً جدًّا، تشبهُ كتاباتي. بقيتُ سنتين وأنا أعيشُ على البيض والبيرة. لم أكن أعرفُ ماذا تعني كلمة «شهيّة»؛ كلُّ ما كان يهمّني هو إرضاءُ الدود الذي يمرحُ في معدتي ودماغي. لديّ الكثير من الدود وبمختلف الأنواع: دود اليأس، دود الخوف، دود الحقد (وهذا كان الأنشط مساءً)، دود الغريزة، دود الكراهية، دودة الحريّة، حتى دودة الثالثتاين كانت أحيانًا تدغدغني ويا للغرابة.

اليومَ، بعد أن اشتريتُ درّاجةً هوائيّة، انطلقتُ بها مقلّدًا المراهق ريناتو في فيلم **مالينا**. بعد بضعة أمتار أسقط ودرّاجتي في البئر. أصرخُ: «أنجدوني!.» أُصاب بالخيبة. فيأكلني الدود .

قصتان

. محمد ديبو .

محمد ديبو

كاتب سوريّ. صدر له في الشعر: **لو يخون الصديق** (فاز بجائزة دمشق عاصمة الثقافة العربيّة)، وفي القصة: **خطأ انتخابيّ** (بيروت، ٢٠٠٨).

«المدينة تحت رحمة الله»

هذا ما يقولونه، إذ تدخل المدينةُ نفقَ الرعب والموت، مذ سيطروا، ليفرضوا فقههم على العقل، فيجبروا الرجالَ على إطلاق لحاهم، ويمنعوا النساءَ من العمل والخروجِ، ويغلقوا دُور الكتب والسينما والمسرح والرقص.

توقّفت الحياة، وبدت المدينة أشبهَ بطللٍ للبكاء، وغدا الناسُ أشباحًا استسلمتْ لليأس.

في مدينةِ الموت، داخلَ مسرحٍ مغلق، كانا يتجادلان ويعانقان الخراب:

. هل الله يمنع لقاءنا حقًّا؟

. بل هو يباركُه.

. لِمَ نحن إذًا في هذا السجن؟

. هذا سؤال سياسيّ، لا دينيّ.

. هل نخرج؟

. هل جننت؟ كيف نخرج والقتلُ يتربّص بنا؟

. سنخرج!

خرجا بخطًى متردّدة. تلتفتُ إلى الخلف بخوف.

. لا تنظري نحو الموت.

خاصرها، ولفّت عنقه بشالِ ساعدها البضّ. صعدا باتّجاه الطريق الموصل إلى شجرتهما، حيث كانا يلتقيان ويمارسان الحب.

قبل وصولهما إلى الشجرةِ بعشرين مترًا، ناداهما رجلان أطلقا لحاهما وحلقا شاربيهما.

. قفا... وابتعدا بعضكما عن بعض.

تبادل الرجل والمرأة النظرات، ثم تابعا سيرَهما، حتى بلغا شجرةَ الحبِّ وتعانقا.

أطلق الرجلان الرصاصَ في الهواءِ لتفريقهما.

. ابتعدا... وإلا أطلقنا النار.

عانقتْ شفتاه شفتيها، وبعثرتْ يداه شعرَها.

اخترقتْ رصاصةٌ فمَها، وانجدل اللسانان في برزخِ الحبّ. اخترقتْ رصاصةٌ رأسه، ليتحوّلا إلى طائرين من الشمع، متّجهين نحو شمسِ الغياب.

...

نظر إليها وقال:

- سنخرج متعانقيْن.

- ولكنّ قد يقتلوننا!

نظر إليها صامتًا. فهمتْ ما ينوي وقالت:

- نعم، قد يقتلوننا، لكننا سنحيا.

وخرجا.

مرافئ الصمت

عندما يتكلّم الصمتُ، يُفضَحُ الحبُّ.

كان الصمت يتواطأ معنا. نسرّب شيئًا من مشاعرنا بين فواصله، كمشروع حبٍّ قادم، ظنًّا منا أنّ الحبَّ نهرٌ يمكن التحكّم بجموح صهيله. ولكنّ جرفنا اللعبُ إلى هاوياتٍ لا قرار لها.

أهو منطقُ الصمت، أم منطقُ الحبّ؟

مَن منهما تواطأ على جرحنا المفتوح لاحتمالاتٍ معروفةٍ، نتجاهلها عمدًا؟

...

- غدًا أصارحه.

- غدًا أصارحها.

لكنّ ما إنْ يلتقيا حتّى يتبعثر الحبُّ رذاذًا بين ركام الكلام.

يستران الحبَّ بشرشف الأدب. فإذا اقتربَ المجازُ من الواقع، هربا عائديْن إلى الأدب.

بعد كلّ لقاء، يقول كلٌّ منهما لذاته:

- أكان يلمّح؟

- أكانت تعني ما قالته؟

يؤكّدان الحبّ وينفيانه. يتأرجحان على موانئ الاحتمالات، ويهدهدان شوقيْهما غلمةً واكتواءً.

يضعان خططًا لاختراق دفاع الأدب.

...

- قلتَ لي في المرّة السابقة إنّ الشعراء يعشقون المستحيل، وإنهم في طريقهم إليه يصبحون كمجانينَ عقلاء. فهل يعشقون النساءَ عشقَهم للجنون؟

تحاول استدراجه إلى فخٍّ لا تعرف إنْ كانت تنصبه لنفسها أو له.

- الجنون والنساء والشعر ثلاثيٌّ لا يفترق.

- كيف؟

- كلّ امرأةٍ فيها شيءٌ من ذبذبات الجنون، وكثيرٌ من كبرياء الشعر. ولا شِعْرَ ما لم يؤنّثْ ويتعمّدْ بنهد اللغة ويصل بصاحبه إلى مرافئ الجنون. ووراء كلّ جنونٍ أنثى تحملُ الشعر بين نهديها وسامًا.

- إنّها هلوسات الشعراء!

- وماذا عن هلوسات الروائيّات العاشقات؟!

- ماذا تعني؟ قالت بغنج أنثى عاشقة.

- لا شيء. ولكنّ لماذا تسألين هذه الأسئلة؟ ما بك الليلة؟

«أحقًّا لم يشعرْ ما بي؟» قالت في سرّها دون أن تعلّق ارتباكها.

أحسّ بقلبه ينبّهه إلى هولِ ما أحدثه سؤالُه من خراب.

- أنا آسف.

- لا داعي للأسف. في حقيقة الأمر أكتبُ روايةً بطلُها شاعرٌ يحبُّ فتاةً تكتب الرواية. وبوصفه شاعرًا فإنه يسعى دائمًا إلى بناءِ الخراب، وهي كأنثى عاشقة تريده هو.

ولكونك شاعرًا يمكن أن تعطيني رأيك: إلى أين يوصلهما هذا الحبُّ؟

عادت إلى برزخ الأدبِ، ساكبةً الماء على نيران القلب.

- وهل هي قصةٌ حقيقيّة؟ سأل، محاولاً استدراكَ خطإه ومنْعَ الماء من التسلّل إلى تراب القلب.

- لا، لا، مجرّد رواية.

ندمتْ على استتارها بشرشف الأدبِ قائلةً: إلى متى؟

رغم إحساسها بالخطأ، وشعوره بالخيبة، كان كلٌّ منهما قد أمسك بطرفِ الحبّ عند الآخر، وأحسّا - بغريزة العاشقين - أن سدًّا من سدود الصمت انهار بينهما.

...

نَفدَ صبرُ الصمت مِنْ تستّره. اختنق الأدبُ من خفقان قلوبٍ تكتب عن الحبّ وتخاف مقاربته، فقرّر فتح كلّ السدود في وجهيهما ذاتَ غفلة.

تُمسك سمّاعةَ الهاتف وتتراجع.

يَرفع سمّاعة الهاتف، ولكنه يتراجع.

أخيرًا تجرّأ وتلفن لها.

رفعت السمّاعة قبل الرنين. الخطّ مشغول.

تلفنتْ بدورها. الخطّ مشغول.

رنّ الهاتف. رفعت السمّاعة متلهّفةً:

- ألو..

- هل كنتِ تكلّمين حبيبًا؟

- بل كنتُ أكلّم قدرًا انتظرتهُ قبل أن أولد.

- وهل جاء؟

- أشمُّ رائحته تعبقُ في صدري.

- أين تذهبين اليوم يا قدري؟

- إلى مرافئ الجنون.

- ما رأيك أن نَحْضرَ مسرحية «الاغتصاب» التي يُخْرجها جواد الأسدي، وبعدها نقرّر أين نذهب؟

- جميل. جواد مشروعُ جنونٍ لم يكتملْ بعد، ومشروع حبٍّ خائب ووطن لن يكتملَ إلا خرابًا.

- نلتقي الثامنة والربع.

...

أمام مسرح بابل في الحمرا كان ينتظرُ سرابه، وبقايا عمرٍ مهدور.

قلبه يخفقُ كطفلٍ صغيرٍ منتظرًا ما وُعِدَ به.

أطلّ السرابُ المؤنّث. الحبّ يتقدّمُ، والأدب يُقصى. طفل وطفلة يتوهّجان باكتشافِ روحيهما وجسديهما. الوجهان تخلّيا عن شراشفهما، والقلبان انعتقا من قيودهما.

تلاقت الأيدي المشبعةُ بالحرمان. التحمت الشفاهُ المعتّقة منذ آلافِ الدهور. حطّ الحمام الأنثويُّ على الصدر الرجوليّ، غارسًا مناقيره في غابةٍ سوداء.

خاصرها بيده وعانقته بيدها. أدارا ظهريهما للمسرح وابتعدا إلى شوارعَ لا نهايات لها. كان الأدب يجلس على الرصيف يتابعهما بعينين مقهورتين، وقلبٍ مفعمٍ بالخذلان. وكان الحبّ يعزّي صاحبه الأدب قائلاً:

- قد تهزمني على الورق، لكنّ معركتي هي في الحياة، وهنا لا مكان لك. عدْ يا صاحبي، واقنعْ بفتات الحكايات!

مختارات

. ليندا حسين .

ليندا حسين
كاتبة من سوريا. وُلدتْ عام ١٩٨١.
صدرتْ لها مجموعةٌ قصصيّةٌ بعنوان: **سماء واحدة لكلّ المدن** (عمّان، ٢٠٠٧).

صورة عائليّة

كان إبراهيم الولدَ الأوسط في العائلة. لم تمنحْه الطبيعةُ ذكاءً جيدًّا، ولهذا كانت نكاته ساذجة. وكان يقول ما لا يجب أن يقال؛ وإذا قال ما يجبُ قوله، فإنه يقوله في اللحظةِ الخطأ.

مع مرور الوقت صار عدنان يعرف أنّ إطباقَ الفم شيءٌ مفيدٌ للاحتفاظ ببقيّة الأصدقاء. لكنه صار يفتحُه لالتهام الأطعمة والتفّاح والفطائر والقطايف، وصار يتكوّر ويتكوّر، حتى صار الأسمنَ في العائلة، ثم الأسمنَ في القرية. ولو أنّ جماعة غينيس سمعوا به لأدخلوه التاريخَ من أوسع أبوابه (وهو على أيّة حال لم يعدْ يمكنه الدخول من الأبواب الضيّقة).

في حفل زفاف أخته الوحيدة، تأهّبت العائلة لالتقاط صورةٍ جماعيّةٍ مع العروسين. وقف إبراهيم في أقصى اليمين وابتسم. تسمّر أفرادُ العائلة إلى جانب العروسين وابتسموا. والعروسان كذلك ابتسما. وخرج الفلاش. الجميع حصل على نسخةٍ من الصورة، وبفضل برامجِ الكمبيوتر الحديثة قاموا بقصّ الحيّزِ الذي يقف فيه إبراهيم؛ فالصورةُ تبدو أفضلَ بكثيرٍ إذا حُذِفَ منها هذا الشيءُ المكوّر على اليمين.

إبراهيم حصل أيضًا على نسخة. ولأنّ الطبيعة لم تمنحه قدرًا كافيًا من الذكاء، فإنه لم يلحظ أنّ الصورة تبدو أفضلَ بكثيرٍ إذا حُذف منها الحيّزُ الذي يشغله ذلك الشيءُ المكوّر على اليمين. لهذا قام بطباعةِ الصورة من دون تعديل، وعلّقها على الحائط.

كانت تبدو صورةً سعيدة، وكان راضيًا جدًّا عن ربطة العنق المقلّمةِ التي لبسها خصّيصًا لحفل زفاف أخته العزيزة.

مكافحة شغب

كلَّ صباحٍ يأتي عاملُ البلديّة ليكنسَ الياسمين وأوراقَ العريشة المتكوّمة على الرصيف. يعاتب أثناء ذلك نفسَه: «أيُّ مجرمٍ يقوم طوعًا بكنسِ الزهور؟ أيُّ مجنونٍ يُفني عمره في مكافحةِ شغب الياسمين؟»

الأنبياء

دروس الدّينِ التي كنّا نتلقّاها في المدرسة أربكتني كثيرًا، بسبب الأصنام التي

حطّمها محمد والثورة التي أعلنها على دين آبائه. أحببتُ تلك الثوريّـةَ، مثلما أحببتُ ثوريّةَ يسـوع قبله. فتنتْني تلك الصفعةُ التـي وجّهها الأنبيـاءُ إلى آبائهم، وأردتُ توجيـهَ واحدةٍ مثلها إلى أبويّ. كنت أريد أن أكونَ ثوريّةً، أنا أيضًا. أحببتُ أن أكونَ نبيًّا، ثم عرفتُ أنّ محمّدًا أعلنَ مسبّقًا أنّه آخرُ الأنبياء.

ناشونال جيوغرافيك

شمهانـزي، سرقَ الصيّادون أصدقاءَه وحشروهم في شاحنة. الشمهانزي ركض مذعورًا خلـف أصدقائه. ركضَ.. وركضَ.. حتى اختفـى آخرُ أثـرٍ للشاحنة، ليمـلأ الشمهانـزي بزعيقِه الهستيريّ فضاءَ الغابة.

أنا هو هذا الشمهانـزي. مذعورةٌ من الوحدة، من وحشةِ هذه الغابـة. إلا أنّ كبريائي تمنعني من الركضِ في أثر أحبّتي، بل تمنعني من مجرّد تلويحة.

لستُ أقلَّ ذعرًا ولا حزنًا من ذلك الشمهانزي، وأبقى متسمّرةً أمـام الشاشةِ التي تعرض عريه، أحدّق فيهـا تحديقَ البشر بالمرآة.

عاطل عن العمل

«إنّ تنظيمَ مسائل النشر في الصحيفةِ صار مهمّةً شاقّةً،» قال أنـور لصديقه سمعان بينما كانا يشربان كأسًا من البيرة. ثم تابع:

– الأمر لا يتعلّق بمسائـلَ مضجرة، كالرقابةِ أو المنافسة كما تعتقد. أنت سمعتَ أنّنا كنّا نصرفُ أتعابَ الصحافيين بحسب عددِ كلمـات موادّهم وأخبارهم. الوقـت الآن تغيّر، والحداثةُ تتطلّبُ موادَّ قصيرةً، أخبارًا سريعةً بجملٍ مباغتةٍ مثل طلقات مسدّس، مثـل صفعةٍ لئيمة. وهكذا أصدرتُ قـرارًا ـ بصفتي رئيسَ التحرير ـــ وعمّمتُه على جميـع مراسلينا وصحافيينا. أنت أيضًا حصلتَ على نسخةٍ منه.

– نعم أتذكّر.

– القـرارُ يقضي برفـع أتعابِ الصحفيِّ كلّمـا قصُرتْ مادّتُه، تشجيعًـا على الاختصـار والاختزال. لقد كلّفني هـذا القرارُ منصبي. فالخنازير تمادوْا في جشعهم، وأرسلوا لي صفحاتٍ فارغـةً، والصحيفـةُ لم تصدرْ يـومَ الأربعـاء الماضي بسبب ذلـك. انظـرْ إليَّ الآن! إنـي عاطلٌ عن العمـل. إذا كان لديك المزيدُ من الوقت، فاجلسْ، عندي الكثيرُ من الكلام، وسأطلب لك زجاجةَ بيرةٍ جديدة.

عجوزُ الطابق الثالث

فـي الطابق الثالث من بناية السقّا تسكنُ عجوز، قَضَتْ فصلَ الصيف بطوله وهي تجمعُ حبّات الباميـاء الصغيرة، تختارُها بعنايةٍ من بين عشرات الحبّات، لتزيلَ عنها الرؤوسَ والأوبار، وتجفّفها في ضوء الشمس مؤونةً للشتاء الطويل. وكانت تنجزُ هـذه الأعمالَ قبل المغيـب، من شرفتها المطلّـةِ على الشارع العام.

فـي نهايـة الصيف كانت العجـوز قد جهّزتْ عقـدًا بديعًا من حبّـاتِ الباميـاء، لفّته بحبٍّ وعلّقته علـى مشجبٍ في الشرفة. الباميـاء اليابسـة كانت تسترخـي بدلالٍ، تعـرفُ روعتها من بريـق الفخـرِ الذي يشـعُّ من عيني العجـوزِ كلّما مـرّت بعقد الباميـاء هناك.

الشتـاءُ أتـى مباغتًا هذه السنة. هبّت ريـحٌ قويّةٌ وحملتْ معها أتربـةً وغبارًا وأكياسًا سـوداء. ومن بين مـا حملته كان عقد الباميـاء.

العجوزُ عرفـتْ بجريمةِ الريح في صباحِ اليـوم التالي. ورغم توفّـرِ كلِّ الأسباب لانهيار العجوز أمام هذه المأساة، فإنّها لم تبُحْ بكلمةِ شكوى واحـدةٍ، ولا بتنهيدة. رفعتْ رأسَها بكبرياء، ورمقت السماء باحتقار، ثم دخلتْ إلى مطبخها الصغير لتعدَّ ركوةَ قهوة.

لـم تعد تؤثّرُ فيها مثلُ هذه الأحداث: فالسماءُ أخذتْ منها كلَّ الأحبّـة؛ ومن لم تستطعْ أخذَه، رحـلَ طوعًا إلى أمكنةٍ أخرى. عقـدُ الباميـاء، هـذا، ليـس سوى عزيـزٍ جديدٍ يغـادر، وهي اعتادت ذلك.

انظـروا إليها، بتجاعيدها الراضيـة، تجلس على الشرفة كأنَّ شيئًا لم يكن، تحتسي قهوتها وتلوّحُ للعابرين.

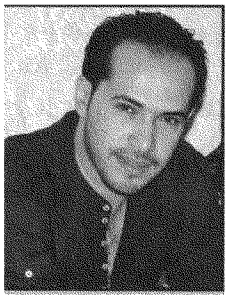

المغيرة الهويدي
وُلد عام ١٩٧٩. ماجستير في النقد العربيّ الحديث. كاتب وشاعر سوريّ من محافظة الرقّة. مقيم في الكويت. يعمل مدرّسًا للغة العربيّة.

هو الحب إذًا

. المغيرة الهويدي .

هو الحبُّ إذًا
يجيء أخيرًا كما توقّعتُ؛ ومن دون انتظارٍ طويلٍ ليديكِ، ومن دون أن يتعبَني في البحث عنك بين وجوه النساء العابرات.
يجيء محمّلاً بكلّ ما يتمنّاه رجلٌ عاش عمره منتظرًا سواكِ، وراح يوزّع ما تيسّر من رماده على كلّ وجهٍ جميل لتورقَ به الحياة.
يجيء أخيرًا: جميلاً / شهيّاً / لذيذًا / مبهمًا / خفيًّا / واضحًا
ومن دون أن ينتظرَ مني اعترافًا به.

...

هو الحبّ إذًا،
مَنْ كان يصدّق أنني أخيرًا وقعتُ في الحبّ، واقفًا كرمحٍ رديْنيّ؟
مَنْ كان يصدّق أنّ الأقدارَ تنسى أحياناً لعنتَها في غمرةِ انشغالها بالتخطيط للعنةٍ أخرى؟
مَنْ كان يصدّق أنني سأعترفُ لأوّل مرّة، ومن دون أن يخالجني الشكّ، أو أن ينتظر إجابتي عن سؤاله: هل تحبّ يا ولد؟ نعم، أحبّ! ومَنْ أُحبُّ جاءت أخيرًا دون انتظار، محمّلةً بوهم تحقّق الأمنيات.

...

هو الحبُّ إذًا،
يقودني إلى بابكِ في ساعةٍ متأخّرةٍ من الشبابِ الجميل لأطرقَه بكلّ القوّة في الدنيا، ويكون انتظاري الأوّل، وجعي حتّى تفتحي الباب؛ دقيقة؟ دقيقتين كان انتظاري؟ ليس مهمًّا! أطرقه بكلّ القوّةِ يا حبيبة، بقوّةِ آدَم الملعون في كُتب السموات حين استسلمَ بملء إرادته للخطيئة.
الآن، فقط، آمنتُ أننا، نحن البشَر، أنصافُ آلهةٍ بما نملك، وآلهةٌ بما لا نملك. وها أنا ذا أصير إلهًا حينًا من الزمن بما لا أملك، وأرتدُّ نصفَ إلهٍ بما امتلكتُ، وبما يكفي لأن أبدأ في الانتظار من جديد.

...

أيّ شقاءٍ هو الحبُّ؟
دعيني أحدّثكِ عن شقائه: ذلك الذي يبدو أوّل وهلةٍ دمعًا نازفًا على وسادةٍ خاليةٍ، أو إبرًا مالحة تجري مجرى الدم؛ ذاك الذي يجعلك تنهض من نومكَ، فتبكي كما لم تبكِ من قبل، ثم تنام من جديد؛
تستيقظُ وبك ألفُ قرار، ولا تدري كيف ضاعت منك أهمُّها وأنت تسير في آخر النّهار

لتبـدأ من جديـدٍ انهيارَكَ مع أغنيـةٍ كان يمْكـن أن نستمعَ إليها معًـا، لضحكـةٍ تحت نافذتـي كان يمْكن أن تكـون ضحكتي وأنتِ تحدّثينني علـى الهاتف، لنقرِ أصابعي التي تحبّين على الكيبورد لأكتبَ لكِ ما قد يقال ولا يقال.

...

أيّ شقاءٍ هو الحبُّ؟

شقاءٌ مرٌّ وجميلٌ، يشبه ما تجودُ به كلماتُ المراهقة على شفاهٍ لا تعرف معنى أن يكون شقاءُ الحبّ مرًّا وجميلاً.

شقـاء الحبّ حين تصـدّق أنّ الموت لن يقدر عليـكَ، ويجيء ما يكذّب حسن ظنّك بالحياة.

شقـاء الحـبّ حين تصـدّق أنّ للمراهقـة عودتَها الجميلـة، وأنّ زمـنَ الورود الملقاة خلف سياجٍ لـم ينتهِ، وأنّ وردتك الّتي ألقيتْ مازالت عالقةً بيدك، وأنّ السياج محضُ خيال.

شقاء الحبّ حينما تستيقظ ليلاً، لتتحسّس مساحتَها في سريرك. تقتربُ أكثر، لتشمَّ رائحةَ النوم في ثيابها فتهدأ، قبل أن تكتشفَ أنّ السرير وحيدٌ بكَ، فتبكي، ثَم تعودُ إلى النوم.

شقاء الحبّ حينما تبدأ بالتصديق!

وتصدّق.

وتصدّق..

وتوغل في التصديق حدَّ إيمانك بسخف القول: «البعيد عن العين بعيـدٌ عن القلب،» وحـدَّ تسخيف كلّ احتمال فَقْـدٍ، وتصدّق أنّك قاب قوسين أو أدنى من عصرها بين يديكَ.

...

هو الحبُّ إذًا، فيضٌ فراتيٌّ.

هل رأيتِ يومًا نهرًا يفيض؟ يقتلعُ جسرًا يصلُ بين ضفّتيه، يعبث بالأخضـر حـول خاصرتيْه، يمـزّقُ وجهَ الأمن في عيـون بسطاءِ القرية؟ هل رأيت الفرات؟

لـو تعلمين كـم أشبهُ الفـراتَ، حينمـا يستبدُّ بي الحـبُّ فتضيق بنزقـي تفاصيلُ الحيـاة الهادئة، فأعْبرها بـكلّ الجنون الجدير بنهرٍ موغلٍ في الأصالة أن يفعل.

ما كان الفراتُ فراتًا لو نزعتْ منه يدُ القدر هذا النّزقَ، الجنونَ، الهبلَ، الطغيانَ حدّ التّشبّه بالآلهة.

ولا قرابيـن سوى ما يتمنّـاه ولا يأتي. ولا قرابين حتّى يهدأ مرتدًّا بكلّ الخيبـة إلى سريره هو الآخر، معتذرًا عن سوء نزقٍ، ينحسرُ بكلّ الوجع في الدنيا،

ينحسرُ عن كلّ فيضٍ ممكنٍ بعد ذلك.

...

هو الحبُّ إذًا،

خيـولٌ بريّـةٌ تعبرُ وجه الفرات، ثم توغل في سهـولٍ مشمسةٍ غيرَ آبهةٍ بالمدى. تقف حيث تريد، وتعدو حيث تريد،

وبخيبة المسافات ترحلُ في الضياع.

تتروّضُ أخيرًا من وجعٍ لا يهدأ، وتنسى (أو ربما تنسى) جموحَها الأوّل، وتستسلمُ هي الأخرى لنصف إلهٍ وعربة.

...

هو الحبُّ أخيرًا،

ينهـركَ، يمسـكك من ياقـة قميصـكَ، يرفض وجعـكَ، يرحلُ، تلحقه، تركضُ، تسقطُ، تنهض، تلتقط أنفاسَـك، تركضُ مرّةً ثانيـة، تتعب.. يرحل. تعودُ منكسـرًا إلى حظيرة وحدتك، حزينًا حينًـا، غاضبًا حينًا، منتظرًا عدمَ إيابه، مُستفزًّا. وعبثًا تجدُ في مفرداتك ما يساعدُك على صياغة «ربّما سيعود.»

هـو الحـبّ يغادرك كما تفعـلُ كلُّ الأشيـاء الجميلـة، واللحظات المجنونة، والكلمات الرائعة.

تقـف من جديدٍ، ترتدُّ إلى نفسك بـكلّ غرورٍ وانكسار. تردّدُ على مسمـع القادم من عمـرِك: لن تنتهـيَ الدنيا، ولن تنسـدَّ أبوابُ السمـاء. وكذئـبٍ جريح تنزوي فـي عمق العتمـة، تلعقُ جرحَك، تستذكرُ أنّك قادرٌ على فعل الحياة.

وتمضـي تُعدّد لنفسك وجوهَ النساء. تُراجعُ لؤمَك، حدسَك الذي لـم يخبْ إلا مرّة واحدة. وتمضي إلى الحياة من جديد، ولا شيءَ فيك يوحي بانكسـارٍ شهيّ، حلو الوصال، حديـث، أغنية، دفء، قسوة.

وتمضي، تعتذرُ من حلمك إذ ترى فيه والدك يرقصُ فرحًا لطفله الذي أمسى عاشقًا كالدنيا. تعتذر من دعاءِ أمّك الذي لم تسمعْه السمـاء.. تبتسـمُ في وجههـا كي لا يشيـخَ هو الآخـر أكثر أمام انكسارك.

وتمضي إلى بابها مرّةً أخـرى، بضعفِ البشر، باحتمال الموت، باحتمـالِ الفقـد، باحتمـال الغيـاب، باحتمـال الملـل القبيح، باحتمال الخيانـات الممكنة، باحتمال «البعيـد عن العين بعيد عـن القلب،» باحتمـال ألا تساعدك يدُك على طـرق البابِ مرّةً واحدةً فقط.

تمضي إلـى بابها المفتوح مصادفةً. تتـركُ حقيبةَ أمنياتك عند عتبتها، تغلق البابَ بهدوءٍ كي لا تقضَّ مضجع الفرح أكثر

و

ت

ر

ح

ل

...

هو الحبّ إذًا

أن

ت

ر

ح

ل

في الانتظار

سوزان خواتمي .

سوزان خواتمي

كاتبة وقاصّة سوريّة مقيمة في الكويت. تعملُ صحفيّة ومحرّرة في مجموعة ph7 للنشر. صدرتْ لها ٤ مجموعات قصصيّة: **ذاكرة من ورق (١٩٩٩)، كلّ شيءٍ عن الحبّ (٢٠٠١)، فسيفساء امرأة (٢٠٠٤)، قبلة خرساء: شجر يصعد شجر الحكاية (٢٠٠٦).**

في صباحٍ ينبئ غيمُه بشتاءٍ قادم، كان ضوءُ النافذة الشحيح كافيًا لملاحظة كفّيها المتشبّثتين بحافّة السرير، بعروقهما النيليّة النافرة، وبُقع الكلف التي تبرقش بياضَهما الحليبيّ، فيما تُصدرُ صوتًا متشنّجًا يختلط بضجيج سيّاراتٍ تقطع شارعَ باب النصر منذ خمسين سنة.

إنّه الأسبوعُ الأخيرُ من أيلول ـ وهذا بالنسبة إلى مناخ حلب يعني انقلابًا نحو البرودة، أمّا بالنسبة إلى جدّتي فلم يشكّلْ فرقًا يُذكر باستثناء تحوّلها من مجموعة قمصان نومٍ قطنيّةٍ خفيفة إلى قميصٍ مشجّرٍ أثقلَ قليلاً ترتديه وترمي فوق رأسها حجابَها الأبيض الرقيق. لم تصغِ إلى محاولاتنا إقناعَها، بل سحبتْ قدميها من خفّيها ورفعتْهما لتتربّعَ فوق الفراش. هكذا بدا أنّ أحدًا منّا لن يستطيعَ زحزحتها عن سريرٍ خشبيٍّ بسيطٍ عقدتْ عليه رهاناتِ موتها الهادئ.

لم يكن الأوان قد فات بعدُ حين باعت سريرَها النحاسيَّ القديم، المزيّنَ بأفاعٍ تفحُّ وترفعُ رأسَها نحو عناقيدِ عنبٍ تتدلّى. دراما الحيوانات تلك لم تعد تعجبها، وعندَ أوّلِ فرصةٍ للتخلّص من تلك «الكوابيس» كما كانت تطلقُ عليها، نادت بائعَ الروبابيكيا المتجوّل، وقالت له بحزمٍ باترٍ: «شيل كلّ هذه الكراكيب.» وهكذا كان.

على سبيلِ الذكرى، لا بأس من العودة سنواتٍ إلى الوراء لالتقاطِ مشهدٍ مسلٍّ لجدّتي، وهي تُجرّبُ سريرَها الجديد. جلستْ تتهزهز فوقه، تجرّبُ راحةَ ردفيها اللحيميْن، تدقُّ بيديها القويّتين حشوةَ الفراش القطنيّة لتتأكّدَ من أنّه لا يُصدر زقزقةً، ولا يُسبّبُ قلقًا ليليًّا من أيِّ نوعٍ.

كانت سعيدةً تتمتم لحنًا ما، فيما تبسطُ ذراعيها نحو الطرفِ الأبعد من الفراش لتسوّي الشرشفَ. تتنهّد؛ فقد تخلّصتْ أخيرًا ممّا اعتبره المرحومُ زوجُها أثاثًا يدومُ العمر بطوله ـــ «عمره فحسب.» تضحك وهي تعلّق بمكرٍ منْ لم يتأثّرْ بالانتظار؛ فبعد أن قضتْ شهورَ العدّة والتقطتْ أنفاسَها من سطوة الحزن، قرّرتْ أنّ الحياةَ خُلقَتْ لتعاش، فأوقفتْ أقراصَ النوم بعد أن تحرّرتْ من عسفِ أوامر جدّي في أيّامه الأخيرة. ولكنْ لم يخطرْ في بال أحدٍ أنّها ستتخلّص من مفروشات بيتها التي تناسب المتاحفَ الأثريّة أكثر ممّا تلبّي متطلّباتها البسيطة في الراحة.

بدأتْ بسريرها النحاسيّ: فصريره المزعج يسبّبُ لها الأرق، وارتفاعُه يضطرّها إلى ما يشبهُ القفزَ الحرّ. في يوم «التخلّص العالميّ» المحفور في ذاكرة العائلة، باعت جدّتي التسريحةَ العالية المطعّمة باللؤلؤ، مع مرآتها الكابية وأدراجها المخلّعة.

وساومتْ على قبقاب العرس، الذي اعتلته ذاتَ يومٍ ليتسنّى للأخريات إطلاقُ نظراتهنّ الحاسدة والتملّي بفستانها المطرّزِ بخيوطٍ فضيّةٍ باذخة. تخلّصتْ أيضًا من قدورها النحاسيّة، وتنازلتْ عن أوانٍ خزفيّةٍ أفنت أصابعَها في تنظيف تخريماتها البديعة. وباعت دون رمشةِ ندمٍ ملاعقَ الفضّة التي يندلق الحساءُ من أطرافها. وفيما كان بائعُ الروبابيكا يضحكُ في «عبّه» للممتلكات الأثريّة الثمينة التي راح يلتقطها بسرعةٍ قبل أن تغيّرَ تلك الساذجةُ رأيها، كانت جدّتي بدورها تستعجله ليغادرَ قبل أن يصل أحدُ أبنائها ويحاولَ إقناعها بأنّ ما تملكه «أنتيك» يساوي ثروة.

«أوف. خلصنا!» قالت واستراحت.

كنتُ لصيقةً بها؛ فرغمَ حضنها المكتظّ بالأحفاد، استطعتُ انتزاعَ مكانةٍ ما. أدمنتُ قربها، وشغفتُ بمراقبتها تضحكُ.. تثرثر.. تتمشّى باتّجاه سوق المدينةِ القريبة.. تتجوّلُ بين الحوانيت.. تشتري البيلون والصابون والدريرة، ثم تستريح في دكّانِ عمّي، تتفرّجُ على خلقِ الله.

لم تكن تحبُّ القهوة، ومع ذلك فهي تشربُها لو ضمنتْ مَن يفسّر لها ما يرسمُه ثفلُ البنّ على محيط الفنجان. شكوكُها حول الغيب، وتخوّفاتُها من عثرات الحظّ، تجعلها تتعوّذُ من الشيطان وتحوّطُ عائلتها بأدعيةٍ تقيهم الشرور. كانت تحبّني رضيعةً لا تطاق، وصغيرةً عنيدةً، ومراهقةً مزاجيّةً، وصبيّةً شرسة. بادلتُها حبًّا بحبّ، وحين قدحتْ في قلبي شرارةُ الحبِّ الأولى لم أخْفِ التفاصيلَ عنها. بطيبةِ صديقةٍ طبطبتْ على قلبي الدائخ وراء حبٍّ زميلٍ يتجاهلني. ومض بريقٌ في عينيها وقالت: «لا بأس من أن تحبّي أو أن تحَبّي، ربّي يطعمك الاثنين معًا، لكنْ لا تتركي البابَ مفتوحًا على الهذيان.»

في مساحاتِ الذاكرة العذبة تشحبُ كلُّ الوجوه ويبقى وجهُها في تمام عذوبته حتى بعد أنْ غارت وجنتاها، وتهدّلَ جفناها، وقصرَتْ، واحدودبتْ، وأهملتْ صبغَ شيبها، ولم تعد رحلتُها السنويّة إلى مدينتها العتيقةِ اسطنبول تَردُ على بالها بعد أنْ طاولَ الموتُ أغلبَ أقربائها.

كانت عافيتها تنسحبُ منها، ويومًا بعد يوم تتقلّصُ حركتها حتى اقتصرتْ على محيط غرفتها. وفيما عدا الزيارات المفاجئة التي يقوم بها بين الحينِ والآخر أحفادُها وأولادُها، فإنّ كلَّ ما كانت تفعله هو الانتظار. تتدثّرُ بشالٍ لا يفارق كتفيها، وتتابعُ ما ينقله لها بثُّ المحطّات التلفزيونيّة على مدار الساعة. تلعنُ الحروبَ وأزلامها، والعساكرَ والدبّابات وعنجهيّةَ الأقوياء. تتحسّر على الموتى، وتقول «الله يصبّر قلب أمهاتهم.» تتابعُ الفيضانات والزلازل على أنّها إشاراتُ غضبٍ إلهيّ. تتحسّر على زمن الحياء بعد أن صارت القنواتُ تبثُّ أفلامًا لأشباهِ عراة.

❖❖❖

لم ينتظم اضطرابُ خفقان قلب جدّتي طوالَ ليلةٍ كاملةٍ أمضيتُها إلى جانبها. جافانا النومُ وقضينا الساعات نستدعي ساخرتيْن حوادثَ وحكايات. لم يفلتْ منّا أحدٌ من أفرادِ العائلة، كنّاتٍ وأولادًا وأصهرةً وأحفادًا. وما إنْ طلعَ النهار حتى طلبتُ طبيبَ القلب، الذي نصح فورَ أن عاينها بنقلِها إلى غرفة العناية المركّزة.

بشفاهٍ مطبقةٍ وتقطيبةٍ عنيدةٍ تُواجهنا، أنا وأولادها الأربعة، تحوّلتْ إلى طفلةٍ حرون في مشهدٍ كوميديٍّ سيِّئ. ورائي مباشرةً يقف ممرّضان عاجزان بستراتٍ بيضاءَ يتبادلان النظرات. سيّارة الإسعافِ أسفل المبنى، وسائقُها يطلقُ بين الثانية والأخرى زماميرَ استعجاله، أمّا الطبيب فسبقنا إلى المشفى ليرتّبَ إجراءات دخولها.

أقف حائرةً أمام يقين جدّتي بأنّي سأنفّذُ رغبتها كما فعلتْ هي لسنواتٍ، وأشعرُ بالذنب يلفحني من كلِّ الجهات. أيّ حُججٍ تقنع امرأةً مثلها بأنّ أجهزةً طبيّةً ستتدارك الموتَ القادم، وأنّنا نلتمسُ شيخوختها كي تمهلنا شتاءً آخر نقضي برودته معًا؟ من يأتي أوّلاً: الحبُّ أم الواجب؟ أين ينتهي الواجبُ ليبدأ الحب؟ أو بالعكس أين ينتهي الحبُّ ليبدأ الواجب؟ أردت أنْ أسألها، لكنّها في تشبّثها المؤكّد بخشب سريرها بدت صمّاء، فقدتْ قدرتها على الفكاهة، وأدارت ظهرَها لتواجهَ مصيرًا لا تهابه.

لم أتمكّنْ من فضّ الاجتماع العائليِّ وصرف الممرضين وسيّارة الإسعاف. حملناها رغمَ أنفها. جرّدناها من إرادتها، فبدت خفيفةَ الوزن كريشة. مدّدوها فوق سرير العناية المركّزة، وأوصلوها بأسلاك الأجهزة الطبيّة لمراقبةِ وظائفها الحيويّة.

بدءًا من تلك اللحظة صمتتْ. أغلقتْ عينيها بضراوة، واستغرقتْ أسبوعًا ثقيلاً كاملاً في عنادها، قبل أن يكفَّ قلبها عن الخفقان. لم أسمع خلال ذلك الزمن سوى ندائها الخافت لبائع الروبابيكيا.